الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم العلوم الاجتماعية

تخصص : فكر عربي إسلامي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

الموسومة بـــ:

تجلي فكرة المسيح في تجربة الحلاّج

إعداد الطالبة

بإشراف :

✓ إسمهان لعجاج د.

خديجة بلخير

لجنة المناقشة

..... رئيسا

..... مشرفا مقررا

..... مناقشا

السنة الجامعية:

2018/2017

الشكر والعرفان

الحمد لله الذي وفقنا لهذا ولم نكن لنصل إليه لولا فضل الله علينا ، أشكر الله عز وجل ، كما نشكر الأستاذة المشرفة " **بلخير خديجة** " التي كانت خير المعين وخير المرشد لهذا العمل ، لم تبخل علينا بتوجيهاتها القيمة و إرشاداتها العلمية الهادفة والسديدة فشكرا جزيلا لها .

كما نشكر الأستاذ "**رمضاني حسين**" ، وكل أساتذة الفلسفة .

نشكر أيضا كل من ساهم من قريب أو من بعيد في إتمام هذا العمل والى أولئك الذين إبتهلوا إلى الله سرا ، وجهرا طالبين لينا العون والتوفيق .

فاللهّم أجزهم عنا خير الجزاء .

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى :

من لا يمكن للكلمات أن توفي حقهما ، وإلى من لا يمكن للأرقام أن تحصي فضائلهما إلى جدّي وجدّتي أدامهما الله لي .

من ربتني وأنارت دربي أعانتني بالصلوات والدعوات ، إلى أغلى إنسان في هذا الوجود أمي الحبيبة .

إلى من عمل بكد في سبيلي وعلمني معنى الكفاح وأوصلني إلى ما أنا عليه أبي الكريم أدامه الله لي.

إلى إخوتي : قويدر ومحمد ، أمين ، كريم وعدة وأحمد ومصطفى ،عبد الإله.

إلى أخواتي : زهرة وإيمان ، أمنية ، خيرة.

إلى من عمل معي بكد بغية إتمام هذا العمل إلى زميلاتي .

إلى شهداء الجزائر الذين ضحوا من أجل أن يعيش الشعب أصيل.

إلى كل من سقط من قلمي سهوًا أهديه هذا العمل .

مقدمة

مقدمة

يعد التصوف تجربة ذوقيّة، و له أهمية في الفكر العربي بحيث نجد الفقهاء اهتموا بتعاليم شريعة الإسلام ، وعلم العقيدة بالإيمان ، فكذلك التصوف إهتم بتحقيق مقام الإحسان : الذي يعتبر ركنا مهما من أركان الدين و هو أن تعبد الله كأنك تراه ،فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وهو منهج أو طريق يسلكه العبد للوصول إلى الله أي الوصول إلى معرفتّه والعلم به ، وذلك عن طريق الاجتهاد في العبادات وإجتناب المنهيات وتربية النفس وتطهير القلب من الأخلاق السيئة ، وتحليه بالأخلاق الحسنة .

إنتشرت الصوفية في العالم الإسلامي في القرن الثالث هجري كنزاعات فردية تدعوا إلى الزهد العبادة ، ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرق مميزة متنوعة معروفة بإسم الطرق الصوفية ، أما العوامل التي ساعدت على ظهور التصوف الفلسفي فكثيرة متعددة ، فقد كانت البيئة التي يعيش فيها متصوفة القرن الثالث وما بعده مزيجا غريبا من الأمم المختلفة والثقافات المختلفة والديانات والفلسفات المختلفة ، وذهب بعض المستشرقين إلى أن المسلمين الذين خذوا لفظ المتصوفة إسما لهم ، إنما لبسوا الصوف محاكاة لرهبان المسيحيين ، ليس هذا وفقط حتى بعض المصطلحات كدليل تأثر المتصوفة بالمسيح ، وليس القصد بالمسيحية الديانة المسيحية وعقائدها ، بل الحياة المسيحية كما عاشها المسيحيون في البلاد التي انتشر فيها الإسلام ممثلة في حياة الرهبان والمتصوفين ، ولم يأخذ الصوفية عن المسحيين بعض أساليبهم في الزهد ولباس الصوف ، بل أخذوا عنه بعض نظرياتهم في طبيعة المسيح مثل الحسين بن منصور الحلاّج ، شهيد العشق الإلهي

كما وصفه بعض الصوفية ، الذي سقط في فكرة الحلول والتي تعني حلول اللاهوت في الناسوت ، وهذه الفكرة الصوفية المرتبطة بالمعتقد المسيحي الذي يؤكد الطبيعية الثنائية للمسيح ، والتي من خلالها لقّي الحلاّج حذفه على طريقة المسيح عليه السلام حسب ما نّصته الأناجيل ، وعليه يمكن طرح الإشكال التالي :

هل فكرة تجلي المسيح في تجربة الحلاّج الروحية لها علاقة بنظريته في الحلول؟ وهل فكرة الحلول لدى الحلاّج كانت مستقات من الديّانة المسيحية بكل ما تحتويه من معاني وتأويلات أو كانت عبارة عن رموز يصعب فكها ؟ ، كيف تجلتّ صورة المسيح في تجربة الحلاج ؟ ما هو المنظور الإسلامي للسيد المسيح ؟ و ما هي مواطن تجلي فكرة المسيح لدى الحلاّج؟

وما كان اختيارنا لهذا العنوان كمدوّنة للبحث بمحض الصدفة ، أو اختيارا اعتباطيا ، بل هناك من الدوافع الذاتّية والموضوعية ما يبّرره ، ذلك أننّا نحيا في وسط مليء بالمناسبات الدينية و ميلنا للتصوف لما له من علاقة روحية تربطنا بالخالق و كذا لصلتنا به في المشوار العلمي.

بالإضافة إلى هذا الدّافع ، نجد أننا محكومين بدوافع موضوعية أخرى تتعلق بمحاولة التوصل إلى حقيقة الحلاّج ،وكشف الغموض عن قضيته ، وتوضيح وتفسير كافة الخبايا التي تقف وراء هذه الشخصية المبهمة في محاولة طرح هذه القضية ونقيضيها.

مقدمة

إن أهمية التصوف الفلسفي تكمن في تسليط الضوء على مفكر صوفي بارز في مشارق الأرض ومغاربها ، بحكم الأثر البالغ الذي تركه في الأوساط المسلمة والغير المسلمة، بسبب ما قدمته تجربة الحلاّج ، فالتصوف عند الحلاّج تميز بالرمزية، وطرحه كان انطلاقة جديدة في الفكر الصوفي .

وللإجابة عن التساؤلات السابقة تم تقسيم البحث إلى ثلاثة فصول تناولنا في الفصل الأول صورة المسيح في الفكر الإسلامي ،تطرقنا فيه إلى المسيح في الإنجيل ،ثم الرؤية الإسلامية للمسيح عليه السلام، وبعدها الرؤية الصّوفية للمسيح ، وفي الفصل الثاني تناولنا الفلسفة الصوفية للحلاّج ، عرضنا خلال هذا الفصل لتجربة التجلي عند الحلاّج ، اللاهوت والناسوت ، ثم فكرة الحلول ، وفي الفصل الثالث والأخير ، المسيح في تأمل الحلاّج ، ذهبنا إلى رمز الصليب في كتابات الحلاج ، ثم مأساة الحلاّج وفلسفة الموت ، ثم توجهنا إلى رؤية تجاوزية نقدية لفكرة المسيح عند الحلاج.

وقد استدعى البحث إتباع جملة من المناهج مثل المنهج التاريخي الذي سمح بتتبع مراحل وصف المسيح وولادته وموته في الأناجيل ، كما اعتمدنا على المنهج التحليلي ،حيث قمنا بتحليل الأحداث في الأناجيل وتحليل مقولات الحلاّج بالإستعانة بأدوات التأويل خصوصا لتلك الشطحات، وهذا بالإضافة إلى المنهج النقدي ، ففي مضمون البحث كنا بحاجة الى النقد ليس هذا وفقط بل خصصنا في المبحث الأخير نقد معتمدين على نقد ابن تيمية كنموذج.

و من الدراسات السابقة تناولنا جانبا من فلسفة الحلاّج، وكانت خادمة لبحثنا منها دراسة فاطمة الزهراء هدّى حلول " جمّالية الرمز في الشعر الصوفي" ، وهي مذكرة ماجستير في الأدب العربي الحديث بكلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية بجامعة أبي بكر بلقايد تلمسان ، قسم اللغّة العربية وأدابها ، حيث تميزت هذه المذكرة باحتوائها على مادة معرفية مكثفة وتنوع عناصرها بتعدد فصولها ، كما غلب عليها طابع الدقة خصوصا في ضبط التصوف وتتبع مراحله وفي المقامات والأحوال وصولا إلى الجّمالية الرمزّية في الشعّر الصّوفي القديم ،ففي المقابل كانت نظرتي في الرمّز كما هو معروف عند المتصوفة ، لا تختلف عن نظرة هدّي والنتائج التي خرجت بها هدّي مما يحتويه التصوف وأصوله والمقامات التي تتدّرج تحت المتصوفة في حين تجاوزنا هذه المسألة وركزنا فقط على الحلاّج أما فيما يخص الرمز لم يكن هناك اختلاف بيننا.

اعتمدنا كمصدر كتاب "الأعمال الكاملة" للحلاّج ، تحقيق : قاسم محمد عباس،و كمرجع كتاب "آلام الحلاّج" للويس ماسينيون ، ترجمة الحسين مصطفى حلاّج

ولعل من جملة الصعوبات التي واجهتنا ، هي صعوبة فهم اللغّة الرمزية ، إلى جانب قلة المصادر مع العلم أن هذا المتصوف قد أحرقت وأتلفت جميع كتبه لم يسلم منها إلا كتاب الطواسين ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى صعوبة جمع هذه المادة لاختلاف أراء المتصوفة والمستشرقين فيه، وآخر المنى أن يكون البحث المتواضع موفّقا ، وأن يحظى باهتمام المتلقّين .

الفصل الأول :صورة المسيح في الفكر الإسّلامي

المبحث الأول :المسيح في الإنجيـل

المبحث الثاني :الرؤية الإسلامّية للمسيح عليه السلام

المبحث الثالث :الرؤية الصّوفية للمسيح

المبحث الأول : المسيح في الإنجيل

تحدثت الأناجيل الأربعة عن المسيح كثيرا في جميع شؤونه وكان حديثهما عنه يتسم بالإتفاق تارة والاختلاف تارة أخرى ، كما أنها تعتبر المصدر الأساسي للمسيحيين في إثبات ألوهية ، وان كانوا أحيانا يستشهدون أيضا برسائل بولس.

في رسالته أعمال الرسل المنسوبة إلى بولس والذي نقل الديانة من التوحيد إلى التثليث والذي قال بالأوهية المسيح وقصة الفداء للتكفير عن الخطيئة.[1]

كما نجد إنجيل متى ، والذي كتب إنجيله باللغة الآرمية والتي كانت السائدة بين اليهود في ذلك الزمان ، وهي لغة السيد المسيح (عليه السلام) ويحتمل أنها كتبت بين الفترة 50–100 ميلادي.[2]

مع العلم أن متى أحد الحواريين وكانت الحبشة موطن دعوته ، وإنجيله من بين الكتب المقدسة التي تعتقد به الطوائف النصرانية ، وبالتالي لا يعرف أحد بتحديد مكان كتابته لإنجيل أو زمان ترجمته إلى اليونان.

إنجيل متى يبرز الطابع اليهودي أكثر من الأناجيل الأخرى .التي يعني بها كمصطلح تجليات أسماء الذات ، أي تجلى الذات في أسماءه ومن هذه التجليات تجليه في الواحدية التي ظهر بها على قوم عيسى في عيسى ومريم وفي روح القدس ، وهو مقتضى ظهور الحق في الخلق .[3]

إذا أول الإنجيل باسم الأب والأم والابن والمراد بالأب هو اسم الله والأم والابن هو الوجود المطلق لأنه فرع وناتج من ماهية الحقائق الأم ، فإنجيل متّى يختم بذكر وصية

---

[1] الشبلي أحمد ، المسيحية ، ج2 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط(10) ، 1988 ، ص :129 .

[2] الشيخ علي ، لاهوت المسيح في المسيحية والإسلام ، مركز الأبحاث العقائدية ، إيران ، د(ط) ، د(ت) ، ص : 27 .

[3] الزربي ممدوح ، معجم الصوفية ، دار الجيل ، بيروت ، ط(1) ، 2004 ، ص : 40 .

يسوع المسيح الأخيرة ، أما فيما يخص إنجيل مرقس هو الأقصر من بين الأناجيل الأربعة،وكاتب الإنجيل اسمه (يوحنا مرقس).

حسب المؤرخ يوسيفوس بأن مرقس كان أول من نادى برسالة الإنجيل في مدينة الإسكندرية في مصر ، وأما تاريخ كتابة السفر فقد ذكر ايرينيوس أحد أباء الكنيسة الأولي أن مرقس كتب هذا الإنجيل بين عام 65—68 ميلاي .[1]

مرقس من أقدم الأناجيل كما يعتبر من أسخف الإنجيلين ، كما إن محمل إنجيل مرقس معتمد رسميا بأنه قانوني ، ومع ذلك فالقسم الأخير منه يعتبره الكتاب المحدثون عملا مضافا .[2]

اتبع مرقس أسلوبا يختلف عن أسلوب متى ، ويركز مرقس في إنجيله على الأعمال الخارقة التي قام بها يسوع المسيح (عليه السلام) ، والإطار التي تمتد فيه تلك الأعمال.

أما الإنجيل الثالث هو إنجيل لوقا والذي يمكن اعتباره بأنه السجل الأشمل بين السجلات عن حياة يسوع المسيح ، مع العلم أن لوقا ليس من الحوارين ولا من تلاميذهم وإنما تلميذ بولس.

سفر أعمال الرسل قد كتب حوالي سنة 62 أو 63 ميلادية ، ويذكر دارسوا الكتاب المقدس أنه قد وردت في إنجيل لوقا بعض الحوادث التي لم تذكر في غير من الأناجيل مقدمة موجهة إلى ثيوفيلوس ، مولد يوحنا المعمدان (يحي) و من يوحنا المعمدان، أخذت

---

[1] الشيخ علي ، لاهوت المسيح في المسيحية والإسلام ، المرجع السابق ، ص :29 .

[2] بوكاي موريس ، التّوراة و الإنجيل والقرآن والعلم ، تر :خالد الشيخ حسين ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط(3) ، 1990 ، ص :74-76 .

المسحية سر المعمودية وهو أحد أسرار كنيسة البعث و كما كان يحي يعمد الناس في نهر الأردن ليتطهروا من الدنس والإثم .[1]

وبذلك ينتهي إنجيل لوقا والذي انفرد بنقل بعض الحوادث كبشارة الملاك لزكرياء وبشارة لمريم العذراء ، وأخيرا إنجيل يوحنا والذي يمثل اختلافا جذريا مضمونا وأسلوبا ، أما فيما يخص أحداثه فقد حدثت معظمها في أورشليم وضواحيها .

إنجيل يوحنا كما يدعى أيضا بالانجيل (الروحي) ، والظاهر أن يوحنا كتبه أو أملاه في مدينة أفسس (في تركيا اليوم) في نهتي ة القرن الأول الميلادي أي بين سنة 90-100 ميلادية . وقد كتب الإنجيل باللغة اليونانية وكانت الغاية من كتابه الإنجيل هو إثبات لاهوت المسيح عليه السلام وناسوته معا.[2]

فالالوهية الناسوتية ، فكرة لاهوتية فلسفية مستمدة من التعليم المسيحي المتعلق بالجسد ، ووفق هذا التعليم كان المسيح ناسوتيا كما كان ألوهيا (إنسان اله) .[3]

ومنه فانجيل يوحنا هو عمل شاهد عيان ، في التفاصيل المنشورة والصورة الشعبية كما في زمن العشاء السري قبل الآلام ، والمعروف عن يوحنا أنه أخو يعقوب الرسول فتحدث في إنجيله عن كمال الطبيعة البشرية ، حالة المسيح المتجلي ، بإثبات لاهوته والذي بطبعه يبحث في وجود الله وذاته وصفاته ، وهذا علم يقوم عند المسيحين مقام علم الكلام عند المسلمين.

---

[1] جورافسكي ، أليكسي ، الإسلام والمسيحية ، تر : مشاري العدواني أحمد ، عالم المعرفة ، الكويت، د(ط) ، 1998 ، ص :61 .

[2] الشيخ علي ، لاهوت المسيح في المسيحة والإسلام ، المرجع السابق ، ص :34 .

[3] تدهور ندرتش ، دليل أكسفورد للفلسفة ، تر : الحصادي نجيب وآخرون ، ج1 ، المكتب الوطني للبحث والتطوير ، ليبيا ، د(ت) ، ص :89.

وهو ضربان : لاهوت طبيعي ويعتمد على التجربة والعقل وحدهما ، ولاهوت منزل و يعتمد على النصوص المقدسة ويسمى إلالاهيات.[1]

إذن قصة ولادة المسيح عليه السّلام نراه فقط في إنجيلي متى ولوقا ، وأما إنجيل مرقس فهو لم يذكر شيئا عن هذه الولادة ، في حين أشار إنجيل يوحنا في بدايته إلى ولادة المسيح الإلهيّة وتجسده.

فهي مسألة العمل بالمسيح ، يقول إنجيل متى في ولادة المسيح :"أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا ، لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من روح القدس ، فيوسف رجلها إذ كان بارا لم يشأ أيشهرها تخليتها سرا ، وفيها هو متفكر في هذه الأمور إذ ملاك الربّ قد ظهر له في الحلم قائلا :"يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ إمرأتك مريم لأن الذي حبلى به فيما هو من روح القدس... ولمّا استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ، ودعا اسمه يسوع." [2]

ومنه فالمقصود بروح القدس يعني روح الأرواح ، وروح الله ليست بمخلوق فهو روح القدس أي أنه الروح المقدس عن النقائص الكونية ، أما لوقا فقد أورد هذه القصة بعد أن مهد لها بذكر قصة تفصيلية عن زكريا (عليه السلام) و إليصابات أنهما كانا متقدمين في السّن ولم يرزقا ولدا ، وأن ملاك الرب هو جبريل بشر زكريا بولد اسمه يوحنا وأن زكريا تعجّب من ذلك لكبر سّنه وزوجته ، وأن الله ابتلاه بالصمت بسبب ذلك وأن امرأته حملت بيوحنا منذ ذلك اليوم.

---

[1] مذكور ابراهيم ، المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، د(ط) ، 1983 ، ص :170 .

[2] الكتاب المقدس ، إنجيل متى: 21-24 .

ثم بدأ يذكر قصّة المسيح قائلا : "وفي الشهر السّادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة بين الجليل اسمها ناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف وإسم العذراء مريم فدخل إليها الملاك وقال سلام لك أيتها المنعم عليها ، الرب معك مباركة أنت في النساء ، فلما رأته اضطربت من كلامه وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية و قال لها الملاك : "لا تخافي يا مريم لأنه قد وجدت نعمة عند الله ، و ها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسميه يسوع هذا يكون عظيما وابن الملى يدعى ، ويمطيه الرب كرسي داود أبيه ويملك على بين يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية.[1]

وهكذا كانت قصة المسيح عند لوقا . فالمسيح هي كلمة عبرية وهذا المفهوم عند اليهود يطلق على مُخلّص قومي من جهة والذي مسح الله عليه من جهة أخرى ، والمسح يكون عادة باليد.[2]

وأنهم يعتقدون أنه بالمساعدة الإلهية سيكون هناك إنقاذ من اضطهاد غير اليهود ، ثم ذكر لوفا كيف أن مريم استبعدت حدوث الحمل مع أنها لم تخالط رجلا قط.

وقال : " فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا " ، فأجاب الملك وقال لها روح القدس يحل عليك وقوّة الصلة تظلك ، فلذلك القدوس المولود منك يدعى ابن الله..."[3]

وهذه قصة حمل المسيح كما رواها لوقا وربط بينها وبين زوجة زكريا ، ربطا زمانيا ومكانيا.

أما ولادة المسيح فقد ذكرها متى على النحو التالي :

---

[1] الكتاب المقدس ، إنجيل لوقا :36-38 .

[2] براون باربارا ، نظرة عن القرب في المسيحية ، تر : الياسري حسين ، http://kotob.no-ip.or ، يوم 2017/11/14 ، على الساعة :30 :15 ، ص :20-26 .

[3] الكتاب المقدس ، إنجيل لوقا: 24-45 .

" ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودوس الملك إذا مجوس من الشرق قد جاؤوا إلى أورشليم قائلين : أين هو المولود ملك اليهود ؟ فإننا قد رأينا نجمة في المشرق وأتيا لنسجد له. فلما سمع هيردوس الملك اضطرب وجميع أورشليم معه فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم أين يولد المسيح :فقالوا له : في بين لحم اليهودية لأنه هكذا مكتوب بالنبي : وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لان منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيلي "[1]

وتمضي الأناجيل في شرح كيفية ميلاد عيسى فتقرر أن أمة وضعته في إسطبل للبهائم ملحق بأحد الفنادق الريفية الصغيرة ، وأن بعض الرعاة الوثنيين قد أتوا إلى مكان ولادته وسجدوا له ، وأنه يكون ملك اليهود.

فكلمة "أورشليم " حرفيا تمثل مدينة بذلك الاسم ، ومجازيا ، تعني أورشليم الكنيسة أما نبّويا فهي المدينة السماوية ، وأدبيّا هي النفس البشرية .[2]

رواية لوقا لولادة المسيح مختلفة على رواية متى ، وذلك أن يوسف صعد من مدينة ناصرة إلى اليهودية مع امرأته المخطوبة مريم وهي حبلى .[3]

" بينما هما هناك تمت أيامها لتلد ، فولت ابنها البكر وقطمته وأضجعته في المذود إذ لم يكن لهما موضع في المنزل ، وكان في تلك الكورة رعاة مبتدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم . وإذ ملاك الرب وقف بهم ومجد الرب أضاء حولهم فخافوا خوفا عظيما فقال

---

[1] الكتاب المقدس ، إنجيل متى :1-7 .

[2] ماكويلكن روبرتسون ، كيف تفهم وتطبق الكتاب المقدس ، مركز مورغان ، لبنان ، ط(1) ، 2010 ، ص : 32 .

[3] الحنفي عبد المنعم ، فلاسفة ومتصوفة اليهودية ، الموسوعة الجامعة للفكر الديني اليهودي ، العدد : 94 ، د(ت) ، ص : 214 .

لهم الملاك لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب .."[1]

إذًا متى انفرد بذكر قصة المجوس ولم يرد في إنجيل لوقا ذكر لها ، ومنها أو لوقا انفرد بذكر قصة الرعاة مع أن متى لم يذكرها في لنجيله و إذا نظرنا إلى قصة المجوس فإننا نجد في روايته مع لا يتفق مع واقع المسيح .

وأول من وضع التقويم الميلادي المسيحي رجل يدعى (ديونيسيوس أكسيمؤس) وهو رئيس دير مات قبل عام 550 ميلادي ، فاختار هذا الراهب تاريخ التجسد ، فكانت ولادة المسيح عليه السلام عام 754 ميلادي تقابله تأسيس رومانية 754 ، إذا فميلاد المسيح تم في أواخر سنة 5 ق.م ، أو في أوائل سنة 4 ق.م وأما الاختلاف بميلاد المسيح في الخامس والعشرين من ديسمبر فقد بدء في القرن الرابع الميلادي (بعد انتشار المسيحية). [2]

ديونيسيوس تلميذ بولس الرسول وكان يقول عن نفسه اله ، من أهل القرن الأول .[3]

أما فيما يخص نسبه عليه السلام يقابل رحمة الله الهندي بين سلسلتي النسب في كل من متى ولوقا فيجد ستة اختلافات نذكر منها :

أ- يُعلم من متى أن يوسف ابن يعقوب ، من لوقا أنه ابن هالي .

ب-يُعلم من متى أن جميع عيسى من أولاد سليمان بن داود ، ومن لوقا أنه من أولاد ناتان بن داود.

ج-يُعلم من متى أن جميع أباء المسيح من داود إلى جلاء بابل سلاطين مشهورون، ومن لوقا ليسوا بسلاطين ولا مشهورين ، غير داود وناتان.

---

[1] الكتاب المقدس ، إنجيل لوقا :6-18 .

[2] الشيخ علي ، لاهوت المسيح في المسيحية و الإسلام ، المرجع السابق ، ص :54 .

[3] كرم يوسف ، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ، دار المعارف ، مصر ، ط(3) ، 1119 ، ص : 58 .

د- من داود إلى المسيح ستة وعشرون جيلا ، على ما بيّن (متى) ، وواحد وأربعون جيلا على ما بيّن (لوقا)، ولما كان ما بين داود والمسيح مدّة ألف سنة ، فعلى الأول يكون مقابل كل جيل أربعون سنة ، وعلى الثاني خمسة وعشرون سنة .[1]

هكذا كان في اختلاف نسب المسيح على أنه من ابن الهالي ، ومن أولاد ناتان بن داود أما فيما يخص نشأة المسيح عليه السلام ، قاصرة على إنجيل لوقا ومتى من بين الأناجيل الأربعة ، إذا ليس في إنجيل مرقس وإنجيل يوحنا ذكر نشأته عليه السلام.

كان يزاول التجارة وقد نشأ – فيما يبدو – كما ينشأ الصبيان في عهده وكان ينتقل مع أمه بين الناصرة وبيت المقدس (الناصرة تقع على صدر تل وفي شمالها الغربي عين ماء تتدفق بانتام وحولها يتجمع الأهالي ويستريح المسافرون...) .[2] وساءه ماآلت إليه حالة قومه من بني إسرائيل من ضلال وعمى (تعمقوا في المادة همهم جمع المال وابتعدوا عن الروحية) فأنكر فريق منهم القيامة والحشر ومن ثم أنكروا الحساب والعقاب. [3]

إذًا فالسيد المسيح كان يمتاز بالفطنة منذ صغره ، عاش حياة عادية وكان ينتقل رفقة أمه بين الناصرة ، وبيت المقدس والمقدس هنا كل ما يتصل بالأمور الدينية ، فيبعث في النفس احتراما ورهبة . وأما فيما يخص صفات المسيح كما وردت في الأناجيل الأربعة تنقسم إلى قسمين ، فقسم أطلقه المسيح على نفسه في مواضع كثيرة فيها وقسم آخر أطلقه عليه الناس في عصره في مناسبات مختلفة.

القسم الأول : صفة الرسّالة وهي صفة أطلقها المسيح عن نفسه ، قوله : " من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني ." [4]

---

[1] سعفان كامل ، دراسة في الثوراة والإنجيل ، دار الفضيلة ، القاهرة ، د(ط) ، 1989 ، ص : 245 ، 246 .

[2] متى المسكين ،المسيح :حياته ، أعماله ، دير القديس أنبا مقار ، وادي النطرون ، القاهرة ، ط(1) ، 1998 ، ص :51.

[3] شبلي أحمد ، المسيحة ،ج2 ، مكتبة النهضة المصرية ، المرجع السابق ، ص :49 .

[4] الكتاب المقدس ، انجيل متى : 40 .

ففي النصّ يتضح أن من يقبل تلاميذ المسيح كمن يقبل المسيح نفسه ، فإن من يقبل تعليمات المسيح ورسالته ، كمن يقبل مرسله وهو الله عز وجل.

كذلك صفة النبوة على لسانه كما جاء في إنجيل مرقس قوله عليه السلام : " ليس نبي بلا كرامته إلا في وطنه وبين أقربائه وفي بيته" [1]

ومنه أنه نبي كسائر الأنبياء والله عز وجل ما أرسل من رسول إلا بلسان قومه ليبّين لهم ما أرسل به إليهم ، وممّا وصف أيضا المسيح نفسه الإنسانية :

..."لطيّور السماء أوكار وأما ابن الإنسان فليس له أين يستند رأسه .. "،[2] "...ومن يقول الناس أنني أنا ابن الإنسان ..."[3]

وهذه نماذج من النصوص الذي أطلق فيها المسيح على نفسه كلمة ابن الإنسان وهي تؤكد الصفة الإنسانية للمسيح .ومن القسم الثاني وهو ما أطلقه الناس على المسيح عليه السلام وصفة بالنبوة في مواضع عديدة من الأناجيل وكذا صفة التواضع.

أما فيما يخص دعوة المسيح عليه السلام ، بدأ المسيح دعوته وهو في الثلاثين من عمره ومنهج المسيح في دعوته ليس منهجا مستقلا عن منهج التّوراة ، ولكنه منهج إصلاحي قصد منه إصلاح شريعة موسى عليه السلام ولذلك يقول المسيح عليه السلام :

" لا تظنوا أني جئت لأنقرض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقص بل لأكمل .."[4]

ومنه عليه السلام يدعوا الناس في عصره إلى التوبة ونبذ المعاصي .

---

[1] الكتاب المقدس ، إنجيل مرقس : 4 .

[2] الكتاب المقدس ، إنجيل متى : 20.

[3] الكتاب المقدس ، انجيل متى : 13.

[4] الكتاب المقدس ، إنجيل متى : 18.

وتتميز دعوة المسيح بالدعوة إلى التواضع والتواد ، والتسامح وملازمة اللين في جميع شؤون الحياة ، والإعراض عن زخارف الدنيا وزينتها [1]

يحث المسيح معاصريه على التحلي بالأخلاق الكريمة والآداب الفاضلة وخفض جناح الذل للقاصي والداني ،ويأمرهم بالصلاة بالخفاء والصدقة والصوم سرا ، بحيث لا يعلم أحد من الناس بذلك ، ويعلل ذلك بأن الذي يرى في الخفاء هو الله عز وجل يجازي علانية من عمل ذلك سرا فيقول عليه السلام :

" احترزوا من أن تضعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم ، وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السموات ، فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قوامك بالبوق .."[2]

ومن نماذج الآيات التي ظهرت على يديه أيضا دعوة المسيح عليه السلام بشفاء المرضى وإحياء الموتى ، وكان ذلك آية من آيات الله الدالة على صدق نبوته ورسالته ولقد ذكرت الأناجيل الأربعة تلك الآيات التي جرت على يديه غير أن الطبيب لوقا صاحب أحد الأناجيل ، ذكر من ذلك الشيء الكثير وتوسع في ذكر هذه الآيات.

ويقول في ذلك :" انحدر إلى كفرنا حوم المدينة من الجليل وكان يعلمهم في السيوت فبهتوا من تعليمه لأن كلامه كان بسلطان ، وكان في المجمع رجل به روح شيطان نجس فصرخ بصوت عظيم قائلا ، مالك ولنا يسوع الناصري "أتيت لتهلكنا ،أنا أعرفك من أنت قدوس الله ، فانتهره يسوع قائلا اخرس وأخرج منه فصرعه الشيطان في الوسط وخرج منه ولم يضره شيء "[3]

---

[1] محمد أمان عبد الكريم عبد الشكور ، الذات الالهية بين الإسلام والنصرانية ، مذكره ماجستير في العقيدة ، إشراف :جاد حجازي عرض الله ، جامعة الملك عبد العزيز ، السعودية ، 1989 ، ص :156 .

[2] الكتاب المقدس ، إنجيل متى : 33-46.

[3] الكتاب المقدس ، إنجيل لوقا : 3-35.

والمقصود بيسوع هو عيسى عليه السلام وهي الصيغة اليونانية للاسم العبري يشوع .[1]

إذا هو شفاء المسيح عليه السلام لرجل به شيطان حينما كان يعلم في المجمع.

إذا هذه آيات المسيح في شفاء المرضى والتي تحدث عنها لوقا في إنجيله أما حديثه عن إحياء المسيح للأموات فقد جاء فيه قوله :

" فلما اقترب إلى باب المدينة ، اذا ميت محمول ابن وحيد لأمه ، وهي أرملة ومعها جمع كثير من المدينة ، فلما رآها الرب تحنن عليها وقال لها لا تبكي ، ثم تقدم ولمس النعش فوقف الحاملون ، فقال أيها الشاب لك أقول ، قم فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه، فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين ، قد قام فينا نبّي وافتقد الله شعبه ."[2]

والمدينة التي تحدث عنها إنجيل لوقا ، فتدعى تابين .

ويذكر يوحنا أن كثيرين ممن حضروا هذه الحالة من اليهود ، آمنوا بالمسيح حينما شهدوا هذه الآية ، وذهب آخرون فأخبروا الفريسيون بما شهدوا من عمل المسيح ولما سمع الفريسيون ما فعله المسيح ، اجتمعوا وقالوا ماذا نصنع فإن هذا الإنسان يحمل آيات كثيرة إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون ويأخذون المركز الديني من الأمة اليهودية ،ثم اقترح عليهم قيافا رئيس الكهنة أنذاك أن يموت المسيح بدلا من أن يفقد اليهود مركزهم الديني بسببه.[3]

إذًا اليهود والتي كانت عاصمتهم أورشليم جنوب فلسطين لم يحاولوا أن يقتلوا المسيح إلا لكراهيتهم له وخوفهم منه على مركزهم الدينّي الذي يسيطرون به على الشعب ، وخوفا من ظهور دعوة المسيح وانتشارها بين الأمم ، وسيطرة الرومان على المركز الدينّي .

---

[1] جرجس حنا الله ومالك وهيب ، القاموس الموجز للكتاب المقدس ، ج 2، مكتبة كنيسة الأخوة ، مصر ، د(ط) ، 1983 ، ص : 743 .

[2] الكتاب المقدس ، إنجيل لوقا :12-16 .

[3] مرجان محمد مجدي ، المسيح إنسان أم اله ، مكتبة النافذة ، الجيزة ، ط(2) ،2004 ، ص :116 .

1- ففي المسألة الأولى نجد خيانة صديق[1] "... يهودا الاسخريوطيُّ الذي أسلمه "[2]

2-بيعه بثلاثين من الفضة " وقال : " ماذا تريدون أن تعطوني وأنا أسلمه إليكم؟ "فجعلوا له ثلاثين من الفضة".[3]

ومنه كان رؤساء الكهنة ومعلّموا الشريعة يبحثون عن طريقة يقتلون بها المسيح عليه السلام فذهب يهوذا الاسخريوطيُّ، وهو من التلاميذ الإثني عشر و فاوض رؤساء الكهنة وقادة حرس الهيكل على تسليمه عليه السلام لهم مقابل أن يعطوه شيئا من المال ، فقبلوا بذلك.

3- يشهدون ضدّه زورا " وكان رؤساء الكهنة والشيوخ و المجمع كلّه يطلُبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه ، فلم يجدوا ومع أنه جاء شهودُ زور كثيرون لم يجدوا ،ولكن أخيرا تقدم شاهد زور وقال : " هذا قال اني أقدُر أن أنقُض هيكل الله ، وفي ثلاثة أيام أبنيه"[4]

وذلك أمام قيافا رئيس الكهنة الذي استحلف المسيح بالله هل هو المسيح ابن الله ؟ وكان المسيح يرد عليه بأنه هو قال ذلك ، وهكذا... وشهدوا أعداءه ضدّه وحسب الروايات فإنّ إجابة المسيح عليه السلام لم تكن لا بإثبات ولا بالنفي .

4- صامت أمام متهميه " وبينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يُجب بشيء ".[5]

---

[1] ولما كان المساء اتكا مع الاثني عشر ، وفيما هم يأكلون قال الحق أقول لكم أن واحدا منكم يسلمني فحزنوا جدا وابتدأ كل واحد منهم يقول له : هل أنا هو يا رب فأجاب وقال الذي يغمس يده معي في الصحفة هو يسلمني أن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه ،ولكن ويل لذلك الرجل الذي به يسلم ابن الإنسان ، كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد فأجاب يهوذا مسلمه هل أنا هو يا سيدي ؟ قال له :أنت قلت " (نقلا عن الكتاب المقدس ، إنجيل متى :20-25.)"

[2] الكتاب المقدس ، إنجيل متى : 4 .

[3] الكتاب المقدس ، إنجيل متى : 15 .

[4] الكتاب المقدس ، إنجيل متى : 26 .

[5] الكتاب المقدس ، إنجيل متى :12 .

إذًا عدم إجابته دفع باليهود إلى تحقيق هدفهم.

5- مجروح ومسحوق "حينئذ أطلق لهم باراباس، وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب "[1]

ومنه كانت العادة قد جرت إن الحاكم الروماني يطلق لليهود سجينا في العيد ممن يختارون وكان في الأسر رجل اسمه (باراباس) أو يطلق لهم يسوع فاختاروا الرجل مقابل إدانّته وصلب يسوع.

6- مضروب ومتفول عليه "حينئذ بصقوا في وجهه ولكموه ، وآخرون لطموه " [2]

إذا على الصليب من رأسه المكلل بالشوك إلى قدميه المسمرتين على الخشبة كان جسده كله مجروحا ومسحوقا وداميا.

7- سقط تحت حمل الصليب " فخرج وهو حامل صليبه "[3]

" ولما مضوا به أمسكوا سمعان ، رجُلا قِيروانيًا ... ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع "[4]

حمل يسوع ولما ارتعشت ركبتاه تحت الحمل ، سخروا سمعان ليحمله عوضا عنه .

---

[1] الكتاب المقدس ، إنجيل متى : 26 .

[2] الكتاب المقدس ، إنجيل متى : 27 .

[3] الكتاب المقدس ، إنجيل يوحنا : 17 .

[4] الكتاب المقدس ، إنجيل لوقا : 26 .

8- ثقب يديه ورجليه" ولما مضوا به الى الموضع الذي يدعى (جمجمة)[1]صلبوه "[2]

إذا صلب يسوع بالطريقة الرومانية التي فيها تثقب اليدان والقدمان بالمسامير الخشينة ليعلقوا الجسد على الخشبة.

9- يصلب بين اللصوص " حينئذ صُلب معه لّصانِ ، واحد عن اليمين وواحد عن اليسار "[3]

لم يكن قانون العقوبات اليهودي يعرف الصلب ، ولكنهم كانوا يعلقون الزاني والمجدف على شجرة بعد أن يقتلوه بالرجم ، كمعلمون من الله ."

طبق اليهود الآية " المعلق ملعون من الله" ، كما تقول التثنية : 23 ، وإذا كان الصلب يعتبر في أعين العالم الوثني أحقر وأحط وسيلة للقصاص ، فن اليهود فوق كل ذلك ، كانوا يعتبرون المصلوب ملعون أيضا من الله ، ولم يقبل اليهود موت الصليب إلا تحت الحكم الروماني فقد كانوا ينفذون الإعدام بالرجم .[4]

10- صلى لأجل صليبه " يا أبتاه اغفر لهم ، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون ."[5]

لقد بدأت شفاعته على الصليب وهو يستمر فيها في السماء.

11- " أعطوه خلا ممزوجا بمرارةٍ ليشرب "

عطش يسوع فأعطوه الخل والمر ليشربه ، مخضّرا لتخفيف آلامه من قبيل الرحمة .

---

(1) الجمجمة بالآرمية السريانية :تُلفظ : ججولتا (بحيم معطشة) وهذه الحروف اختصار للعبارة اللاتينية Iesus Nazarenus RexLudaeowm التي تعني : " يسوع الناصري ملك اليهود " (نقلا عن ياول اينوك ، تكور الإنجيل ، تر : إيبش أحمد ، http://kotob.has.it/ ، يوم 2017/11/17 ،الساعة : 30 : 14، ص :385 .

(2) الكتاب المقدس ، إنجيل يوقا : 33 .

(3) الكتاب المقدس ، إنجيل لوقا: 38 .

(4) مكدويل جوش ، تقني في السيد المسيح ، تر : عبد النور منيس ، نداء الرجاء ، ألمانيا ، د(ط) ،2007 ، ص : 54.

(5) الكتاب المقدس ، إنجيل لوقا: 34 .

12- ظلمة على الأرض وصرخته وحده "... ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى السّاعة التّاسعة ، ونحو الساعة التاسعة ، صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا ايلي ايلي لما شبقتني ؟..."[1]

الساعة السادسة عند اليهود هي ساعة الظهر ، لأنهم كانوا يحسبون الوقت من شروق الشمس إلى مغيبها (اثنتي عشرة ساعة) ، إذا بقي المسيح على صليبه حيّا مدّة ثلاثة ساعات ، وفيما يخص عبارة " الهي الهي ، لماذا تركتني؟ " لقد تكررت عبارة "الهي " وكأنه يريد أن يعلن أن الله هو اله رغم كل الظروف التي تناقض ذلك.

13- يستودع نفسه الله " ونادى يسوع بصوت عظيم : "يا أبتاه ،في يديك أستودع روحي" [2]

فالعالم الوثني إنما جاء إلى روما استجابة لطلب مباشرة من آلهتهم فكانت مناظر الدنس.[3]

14-دفن في قبر غني " جاء رجل غني من الرّامة إسمه يوسف ... وطلب جسد يسوع ... فأخذ يوسف الجسد ولفه بكَتّان نقيّ ، ووضعه في قبره الجديد "[4]

إذًا وضعه في قبر مع معروف في الصخر، ودحرج حجرا على باب القبر ، وكان ذلك ليلة السبت قبل غروب الشمس ، وفي يوم الأحد باكرا جاءت مريم المجدلية ، التي كانت إحدى النساء اللاتي يخدمن في الجليل ومعها نساء أخريات إلى القبر وكان الظلام لم ينكشف فرأت الحجر مرفوعا عن القبر ، فأخبرت بقية التلاميذ بذلك ، وظهر المسيح بعد ذلك لتلاميذه الذين تركوه وهبروا.

---

[1] الكتاب المقدس ، إنجيل متى : 51.

[2] الكتاب المقدس ، إنجيل لوقا : 46.

[3] رسل برتراند ، تاريخ الفلسفة الغربية ،م2 ، تر : محمود زكي نجيب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، د(ط)، 2010 ، ص :84.

[4] الكتاب المقدس ، إنجيل متى: 57-70.

أما فيما يخص إعلان المسيح أنه سيقوم من الموت.

" منذ ذلك الوقت ابتدأ يسوع في يُظهر لتلاميذه أنّه ينبغي أن يذهب أورشليم ويتألم كثيرا من الشيوخ ورؤساء الكهنة و الكتبة، ويقتل ، وفي اليوم الثالث يقوم ... وإلتفت وقال لبطرس اذهب عنّي ..."[1]

" وأجاب يسوع : "أنقضوا هذا الهَيكلَ وفي ثلاثة أيام أقيمُه " فقال اليهود : " في ستّ وأربعين سنة بني هذا الهيكل ، أفأنت في ثلاثة تُقيمه ؟ " وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده ، فلما قام من الأموات ، تذكر تلاميذه أنه قال هذا ، فآمنوا بالكتاب والكلام الذي قاله يسوعُ.[2]

إذا واصح من هذا كله أن المسيح تنبأ بقيامته ، وأن تلاميذه لم يفهموا قصده ، لكن اليهود أخذوا كلامه مأخذ الجدّ ، وعندما يقول شخص إنه سيموت ثّم يقول بعد ثلاثة أيام فإننا نحكم عليه بأنه مختل العقل ومحتاج إلى علاج نفسي بالإضافة أنه حدد قيامه بعد ثلاثة أيام.

وفي القرون المسيحية الأولى أنكر فريق من فرقة الدوسيت المسيحية كون المسيح قد صلب ، ورأى أن شخصا آخر صلب مكانه ، وأنه رفع حيا إلى السماء ، وقد ذكر هذا الأب فرنيسيس قريبه بقوله : " أما تفسير الدوسيت ، فكان يضرب في الخيال : فقد زعم البعض منهم أن سمعان القيرواني هو الذي صلب عوضا عن المسيح الذي رفع إلى السماء".[3]

ومنه رُأى هذه الفرق في الإيمان بعدم صلب المسيح يتفق مع العقيدة الإسلامية فان تعين شخص ما صلب عوضا عن المسيح غير وارد في النصوص الإسلامية ولكن القرآن الكريم قد ذكر بعبارات صريحة أن اليهود لم يقتلوا المسيح ولم يصلبوه ولكنهم يدعوا ذلك .

---

(1) الكتاب المقدس ، إنجيل متى: 21 .

(2) الكتاب المقدس ، إنجيل يوحنا: 18-22.

(3) فرييه فرنسيس ، التجسد ، تر : أبادير لويس ، منشورات المعهد المعادي ، القاهرة ، د(ط) ، 1962 ، ص : 30 .

المبحث الثاني : عيسى عليه السلام في القرآن

في الإسلام نجد سيادة للعقل يحكم بموجبها في مختلف القضايا وفي مقدمتها قضايّا الدين وفي هذا يقول القرآن عقب عرض كثير من هذه القضايا :

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]

لماذا ذكر تعال ما في هذه الآية الكريمة من الأحكام المحكمة والشرائع المتقنة المبرمة ، نبه تعالى عباده على أنه يبين لعباده الآيات بيانا شافيا ليتدبرها و يتعقلوها لعلهم يعقلون .[2]

هذا يدفعنا لتصحيح المفاهيم الخاطئة و الأحكام المسبقة والتقاليد المتوارثة بعد أن يحكم العقل ويمعن النظر بتدبر الأمر ، فلقد ذكر الله تعالى عيسى في القرآن الكريم وبين حقيقة ميلاده وحياته ورفعه ، بالنسبة لحملها العذري دون الاتصال برجل وأن عيسى هو عيسى إبن مريم ولم ينسبه القرآن إلا لمريم دون أب وأنه سيكون من الصالحين .

قال تعالى : **﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (46) قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (47) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (48) وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(49) ﴾**[3]

---

[1] سورة النور ،الآية :61 .

[2] بن كثير الدمشقي أبي الفداء إسماعيل ، مختص تفسير بن كثير ، م 2 ، تح : ثم الصابوني محمد علي ، دار القرآن الكريم . بيروت ، د(ط) ، 1990 ، ص :620 .

[3] سورة آل عمران ، الآية : 45-49 .

لقد كرم القرآن الكريم مريم أيما تكريم يفوق تكريم الأناجيل لها حيث في الأناجيل شك خطيبها يوسف في شرفها .

في هذه الآية يبشر جبريل مريم بأنها ستلد عيسى ، وسيتّم ذلك بكلمة من الله ، بشرها بذلك كي يجعلها آمنة ومطمئنة على نفسها وشرفها وسمعتها في مرحلة حمل ثم عند ولادته وأن المولود سيكون المسيح أي المبارك وأنه سيدعو الناس إلى الله وهو في سن الطفولة في مهده كما سيدعوهم وهو في سن الكهولة وأن كلامه في المهد دليل براءة لوالدته أمام الناس يوم تضع وليدها.[1]

بأنه سيتكلم وهو في المهد قبل أوانه وسيدعو الناس فهذه البشارة جعلتها تحمل الجنين وهي مطمئنة إلى مصيرها والبشارة على هذا النحو لم ترد في الأناجيل ، بل قفزت الأناجيل قفزا إلى ميلاد عيسى ونسبه.

كما استفسرت مريم ستلد دون أن يمسها بشر فجاءها الجواب بأن تلك هي مشيئة الله كما يقرر القرآن الكريم بأن عيسى رسول من الله إلى نبي إسرائيل على وجه التحديد و ليس إلى الناس كافة كما تزعم الكنيسة ، كما تؤكد الآية الكريمة على أن معجزات عيسى تمت بإذن الله .[2]

وهنا المعجزة في مصطلح الفلاسفة هي الظاهرة المخالفة للنظام الطبيعي المألوف وهنا إثبات لصدق رسالاتهم .[3]

إذا عندما سمعت مريم البشارة ، استغربت كما ورد في القرآن ، وهذه الآية تبرئ مريم من تهمة الزنا التي ألصقها بها اليهود في حياتها والى يومنا هذا ، كما تدل الآية على أن

---

[1] عبد الوهاب لواء أحمد ، الإسلام والأديان الأخرى نقاط الاتفاق والاختلاف ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، د(ط) ، 1992 ، ص : 106.

[2] المرجع نفسه ، ص : 107 .

[3] صليبا جميل ، المعجم الفلسفي ، ج2 ، دار الكتاب لبنان ، د(ط) ، 1982 ، ص : 391 .

عيسى رسول وليس إلها أو ابن اله كما تزعم الكنيسة وأنه الأقنوم الثاني من الثالوث أو أن الله قد حل فيه :

وذلك في قوله : ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ**﴾[1]

﴿ **إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ** ﴾[2]

إذا المسيحية قد انحرفت عن عقيدة توحيد الله ، وهذا واضح وضوحا لا شك فيه في مذهبها التثليث .

كما يقرر القرآن بأن عيسى جاء مصدق للثوراة لا ناسخا لها أو معطلا لأكمالها كما تزعم الكنيسة وبطرس وبولس.

لقوله تعالى : ﴿**وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (50)** ﴾[3]

يقول تعالى مخبرا عن تمام بشارة الملائكة لمريم بإبنها عيسى عليه السلام : ﴿**وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ الظاهرة أن المراد بالكتاب هنا الكتابة والحكمة تقدم تفسيرها في سورة البقرة ، والتوراة والإنجيل .[4]

وهذا يعني أن الذين يسمون أنفسهم مسيحيين ملزمون بإتباع التورّاة وتطبيق أحكامها أما بخصوص المائدة ومما ينسبون إليه من ألوهية أو نبوة لله نجد في قوله تعالى :﴿ **إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (112) قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ(113) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا**

---

[1] سورة آل عمران ، الآية : 50 .

[2] بن كثير المشيقي ، مختص تفسي بن كثير ، 18 ، المرجع السابق ، ص : 274

[3] سورة آل عمران ، الآية : 50 .

[4] بن كثير الدمشيقي ، مختص تفسي ر بن كثير ، م 1 ، المرجع السابق ، ص : 274 .

مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (114) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (115) ﴾[1]

أي نتخذ ذلك اليوم الذي نزلت فيه عيدا نعظه نحن ومن بعدنا ، كافية لأولنا وآخرنا وآية منك (أي دليل) تنصبه على قدرتك على الأشياء وعلى إجابتك لدعوتي فيصدقوني فيما أبلغه عنك (وأرزقنا) أي من عندك رزقا هينا بلا كلفة ولا تعب،وأنت خير الرازقين : ﴿**قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ**﴾ أي فمن كذب بها من أمتك يا عيسى وعاندها فاني أعذبه.[2]

ومنه﴿**قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ** ﴾ دليل على نزول المائدة من السماء ،والمعروف به عند العلماء المفسرين أنهم كذبوا وسخروا وخانوا ، فسخط الله عليهم .

وقوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ(116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(118)** ﴾ [3].

يخاطب الله عبده ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام ، و التبري منهم ورد في المشيئة إلى الله .[4]

---

[1] سورة المائدة ، الآية : 112-115 .

[2] بن كثير الدمشقيّ ، مختص تفسير بن كثير ، م 1 ، المرجع السابق ، ص : 563 .

[3] سورة المائدة ، الآية : 116-118.

[4] بن كثير الدمشقيّ ، مختص تفسير بن كثير ، م 1، المرجع السابق ، ص : 564 .

يسأل الله عيسى أمام أتباعه يوم القيامة هل قال لهم انه اله أو أن أمه آلهة ؟ وهل طلب عيسى من الناس أن يعتبروه من دون الله . [1]

إذا سؤال الله لعيسى هنا يراد به توبيخ أتباع عيسى الذين زعموا أنه اله أو ابن اله ، فيقول عيسى عليه السلام كيف يطلب منهم ذلك وهو رسول من عند الله ويقول أنه أمرهم بما أمره الله ، ألا وهو عبادة الله وحده.

وقوله تعالى : ﴿**أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (91) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (92) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (93) لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (94) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا**(95) ﴾[2]

باختصار أن عيسى الحقيقي الذي يقرره القرآن الكريم يختلف عن عيسى الخيالي الذي ترسمه الكنيسة ، إن القرآن ينفي ألوهية عيسى ، وينفي أن عيسى قال لهم أنه إله أو إبن إله، كما أنه ينفي عقيدة التثليث النصرانية ، ولتأكيد هذا قوله تبارك وتعالى : ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)** ﴾[3]

لما قالت اليهود نحن نعبد عزّيزا ابن الله ، وقالت النصارى : نحن نعبد المسيح ابن الله وقالت المجوس : نحن نعبد الشمس والقمر ، وقالوا المشركون : نحن نعبد الأوثان ،أنزل الله على رسوله عليه الصلاة والسلام ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ يعني هو الواحد الأحد ، الذي لا نظير له ولا وزير ولا شبيه ، لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله ، وقوله تعالى ﴿ **اللَّهُ الصَّمَدُ**﴾ يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم وأخيرا أنه ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة .[4]

---

[1] عبد الوهاب لواء أحمد، الإسلام والأديان الأخرى نقاط الاتفاق والاختلاف ، المرجع السابق ، ص : 112.

[2] سورة مريم ، الآية : 90-95.

[3] سورة الإخلاص ، الآية : 1-4 .

[4] بن كثير الدمشقي ، مختص تفسير بن كثير ، م 3 ، المرجع السابق ، ص : 932.

وكذلك الآية القرآنية المؤكدة بنوة المسيح وناسوته ،وهي الآية الخامسة والسبعون من سورة المائدة : ﴿ **مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ** (75)﴾[1]

يتضح من خلال هذه الآية الكريمة أن عيسى عليه السلام مثل سائر المرسلين المتقدمين عليه وأنه عبد من عباد الله ورسول من رسله الكرام وأمه مؤمنة وليسا الهين كما زعمت فرق النصارى .

وفي قوله : ﴿ **ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ**﴾ أي ثم أنظر بعد هذا البيان والوضوح والجلاء أين يذهبون ، وبأي قول يتمسكون ، و إلى أي مذهب من الضلال يذهبون؟[2]

كما تستهل الآيات بذكر حقيقة إلهية في الكون تشير إلى معجزة ميلاد عيسى المسيح ومريم انما هي صديقة كانت بتولا فهي بتعبير قرآني﴿ **أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا** ﴾[3] فأرسل الله لها روح القدس أو روح الأمين (الملك جبريل) فأوصى جبريل النفّخة الإلهية الخالقة إلى مريم ، وهي (الواسطة) التي تتّوسط المسافة الشاسعة الممتدة بين الله والبشر ،وتعد إحدى سبل إيصال (الوحي) .[4]

فذكر اسم عيسى عليه السلام خمسا وعشرين مرة في القرآن الكريم والمسيح إحدى عشرة مرّة، وابن مريم ثلاثا وعشرين مرة .[5]

وفي مسألة قضية صلب المسيح في فالقرآن يقول : ﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ**

---

[1] سورة المائدة ، الآية : 75 .

[2] بن كثير الدمشقيّ ، مختص تفسير بن كثير ، م 1 ، المرجع السابق ، ص : 537.

[3] سورة التحريم ، الآية : 12 .

[4] زيدان يوسف ، اللاهوت العربي وأصول العنف الديني ، دار الشروق ، مصر ، ط(2) ، 2010 ، ص : 147-148.

[5] أبو خليل شوقي ، أطلس القرآن ، دار الفكر ، سورية ، ط(1) ، 2000 ، ص : 113 .

مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا إتباع الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا(158) ﴾[1]

إن القرآن يقرر بوضوح عدم صلب المسيح وأن الله نجاه من محاولات اليهود قتله ، بأن رفعه إليه وان الأمر كان فتنة اختلطت فيها حقيقة الأمر على كثير من الناس .

في تفسير القرطبي لهذه الآية و استشهاده بالعديد من المفسرين ، أنه لما أراد الله تبارك وتعالى أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وهم أثنا عشرة رجلا من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال لهم : أما إن منكم من سيكفربي إثني عشرة مرة بعد أن آمن بي ، ثم قال : أيكم يُلقي عليه شَبَهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي؟ فقام شاب من أحدثهم فقال أنا : فقال عيسى اجلس ، ثم أعاد عليهم فقال الشاب : أنا ، فقال عيسى :اجلس ، ثم أعاد عليهم فقام الشاب : فقال أنا ، فقال نعم أنت ذاك ، فألقى الله عليه شبه عيسى عليه السلام ... [2]

أيضا تثبيت النصوص الإنجيلية أن المسيح هو الذي يتولى الحساب كما ذكر في إنجيل يوحنا وكان واضح في الكثير مما ذكره أنه لا يدين بأحد والمقصود عيسى عليه السلام ، وأنه إن كان يدين فدينونته حق ، وأنه ليس وحده ، بل قال أنا والآب الذي أرسلني وكذلك أن الآب يقيم الأموات فالابن أيضا يحي من يشاء .[3]

فكان الرد حاسما في القرآن الكريم على الكفار واليهود وأن الله هو الأحد.

---

[1] سورة النساء ، الآية : 157-158 .

[2] الأنصاري القرطبي عبد الله محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن ،ج4، تح : أطفيش إسحاق إبراهيم ، دار الكتب المصرية ، مصر ، ط(2) ، 1957 ، ص : 101

[3] عبد الباري فرج الله ، يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية ، موسوعة العقيدة والأديان ، العدد : 880 ، دار الأفاق العربية ، 2004 ، ص : 212 .

المبحث الثالث: الرؤية الصوفية للسيد المسيح

بذور الزهد الأولى موجودة في كل دين، بل في كل عقيدة سماوية تحت معاني التقوى و الإيثار و التضحية و الفداء، بل في كل عقيدة وثنية أو غير وثنية، و على هذا فمعاني الزهد مبثوثة في القران لدى فضائل النفس المؤثرة للآخرة قبل الدنيا، الزراعة في الدنيا حقلا للأخرة.

و على هذا فلا صحة لنسبة الزهد الإسلامي الأول إلى الرهبنة المسيحية أو غيرها فهذا أمر مشترك في كل عقيدة. أما ما تطور عن الزهد بما خرج عن روح الدين فهو أمر مأخوذ من الغنوص الشرقي الغربي المشترك.[1]

فإذا ذكر أن بذور الزهد موجودة في القرآن، فوجودها في الإنجيل، وجودها في التوراة وجودها في البوذية، وجودها في الفيدا... في المانوية، في الزرادشتية.

و الفيدا فهو كتاب مقدس معناه "معرفة المجهول" عن طريق الدين ، بما فيه من تَعبُد و أناشيد دينية.[2]

ففي تعبيرات الفيدا في أساس اللاهوت الهندي له مبدأ تعدد الآلهة و يؤكد في تعبيراته الشعرية أن الله و النفس الإنسانية شيئ واحد.

لم ينشأ التصوف من مصدر فارسي أو هندي شرقا أو يوناني أو مسيحي غربا، نظرا لعيوب المنهج الأثر و التأثر، فالثنائيات الفارسية طبيعة بشرية توجد في كل حضارة في الأخلاق و التصوف، و التصوف المسيحي يتبع طبيعة النفس البشرية و الظروف النفسية

---

[1] محمود عبد القادر، الفلسفة الصوفية في الإسلام، مطبعة المعرفة عمارة التأمين، القاهرة،ط (1)، 1966، ص:61.

[2] أندريه تور، التصوف الإسلامية، تر: عباس علي عدنان، منشورات الجمل ، ألمانيا،ط (1) ،2002، ص: 12.

والاجتماعية و السياسية للجماعة المسيحية مثل التصوف الإسلامي تماما دون أثر أو تأثر.[1]

كان للعرب قبل الإسلام صلات مع كل الديانات و الطوائف و ليس فقط مع النصارى والزهد في كل حضارة، لذا أشار بعض الباحثين إلى الفرس كان لديهم على ما يقال، ميل شديد إلى التدين الصوفي يسري في عروقهم، و أشار بعض أخر إلى الهند و ما ولدته من أثار وعلى وجه الخصوص إلى البوذية و ديانة الفيدا و توجه أخرون بأبصارهم صوب صوفية الأفلاطونية الجديدة.

ثمة صعوبة في التمييز بين الراهب و الزاهد ذلك لان كلمة (راهب) كانت تطلق في بعض الأحيان على الزهاد المسلمين أيضا، بيد أن هذه التسمية ، بالمفهوم الضيق ظاهرة غير عربية و غربية عن العرب ، كان يرتبط بالمسيحية، كان أوجه شبه بين هؤلاء الزهاد وأسلوب حياة الراهب المسيحي، كمالك إبن دينار أطلق عليه إسم راهب العرب.[2]

كانت كلمة راهب تطلق مجازا، و لم يطلق الزهاد المسلمون، على أنفسهم هذه التسمية أبدا، من جهة و ليس رداء الصوف من جهة أخرى، فهناك من إعتبره عادة غريبة عن الإسّلام.

فعندما حضر عبد الكريم أبو أمية لزيارة أبي العالية مرتديا الصوف، لم يكن من أبي العالية إلاّ أن قال لضيفه: (.. هذا زي الرهبان، إن المسلمين إذا تزاوروا تجملوا).[3]

---

[1] حنفي حسن، من الفناء إلى البقاء، ج1، دار المدار الإسلامي، لبنان، ط (1)، 2009، ص.28- 29.

[2] أندريه تور، التصوف الإسلامي، المرجع السابق، ص: 25.

[3] أحمد بن عبد الله الأصفهاني أبي نعيم، حلية الأولياء و طبقات الأصفياء، ج2، دار الفكر، لبنان، د (ط)، 1996، ص:217.

فمصطلح الراهب إن دّل فإنه يدل على أنه كان يستخدم كنقيض للمؤمن، فيشير بالدرجة الأولى إلى الزاهد المسيحي.

قال تعالى: ﴿**وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ** (27)﴾[1]

فبعض رجال التصوف كالجنيد فسر هذه الآية على أنها إباحة و أولوها ،على أنهم وهنا يقصد المسيحيين إخترعوها من عند أنفسهم و لم نفرضها عليهم فرضا، و إنما إبتدعوها إبتغاء رضوان الله: فآتينا الذين أمنوا منهم أجرهم و كثيرا منهم فاسقون، أي الذين أمنوا من المبتدعين للرهبانية جازيناهم على إيمانهم و لكن كثيرا منهم لم يتبع أصولها الصحيحة وفسق. و ليس في هذا كله تحريم للرهبانية.[2]

الإسلام دعا إلى الزهد في الدنيا بالمعنى العام، لكنه لم يدعو إلى الرهبنة التي هي الإنقطاع إلى العبادة و ترك الكسب و هجر الحياة الإجتماعية، فجاء صريح في إعتبار الرهبانية بدعة إبتدعها المسيحيون.

فميزة العارفين من الصوفية أن علومهم هي تحقق بالتجليات الإلاهية في الأنفس والآفاق، معارفهم هي معرفة للحق بالحق في الحق، و الحق مطلق في ذاته و في تجلياته يقول الناطق الرسمي بإسم عقيدة التجليات الصوفية الشيخ الأكبر محي الدين إبن عربي الحاتمي الأندلسي.[3]

لقد صار قلبي كل صورة... فمر للغزلان و دير الرهبان

---

[1] سورة الحديد، الأية: 27.

[2] عفيفي أبو العلا، التصوف الثورة الروحية في الإسلام، دار الشعب، بيروت، د (ط)، د(ت)، ص: 66.

[3] حمو فرعون، حوار الأديان من منظور نظريّة التجليّات الصوفية، مؤمنون بلا حدود، المملكة المغربية، الرباط، 2016، ص : 3-4.

و بيت لأوثان و كعبة طائف... و ألواح ثوّراة و مصحف قرآن[1]

من هنا جاءت عقيدتهم في الله مطلقة غير محصورة، و هم يشاهدون الحق الذي مع كل دين و مع كل طائفة، فنجد العارفون ينفتحون معها.

في أجواء الحوار بين الأديان و كمبدأ أولي يعلن الأمير عبد القادر إن الخلق كلهم يعرفون الله و و بوجه من الوجوه لأن:

" المعرفة بالله ثابتة فإن الله ما خلق الخلق إلا ليعرفوه فلا بد أن يعرفه الخلق و لو بوجه ما"[2] و يتأول الأمير قوله تعالى: ﴿**وَ قَضَى رَبُّكَ ألاّ تَعْبُدُوا إلاّ أياهُ**﴾[3]

فما خلقهم إلا ليعرفوه معرفة فطرية التي فطر الناس عليها، فلا يعبدون أبدا سواه.

و في تفسير الطبري، يعني بذلك تعالى ذكره: حُكم ربّك يا مُحَمدُ بأمره إياكم ألا تعبدوا إلا الله فإنه لا ينبغي أن يُعبَد غيرهُ.

و قد إختلّفت ألفاظ أهل التأويل في تأويل قوله: "و قضى ربك" و كان معنى جميعهم في ذلك واحد، بمعنى أوصّى وأَمَرَ[4]

لكن هذا الإله الأعظم المطلق الذي يعتقد به و فيه الأمير عبد القادر ظهر متقيدا ومتجليّا عند كل أصحاب الأديان.[5]

---

[1] إبن عربي محي الدين، ترجمان الأشواق، تح: المصطاوي عبد الرحمن، دار المعرفة، لبنان، ط(1)،2005، ص: 62.

[2] عبد القادر الأمير، المواقف الروحية و الفيوضات السبوحية و ج 2، تح: الكيالي عاصم، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2004، ص: 372.

[3] سورة الإسراء، الأية: 23.

[4] الطبري محمد بن جرير، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل القرآن، تح: التركي عبد الله بن عبد المحسن وآخرون ،ج14 ،مهجر ، القاهرة ،ط(1) ، 2001 ، ص :542 .

[5] حمو فرعون، حوار الأديان من منظور نظرية التجليات الصوفية، المرجع السابق ص: 11.

ففي تصور الأمير عبد القادر الجزائري فإنه سبحانه وسع إعتقاد كل مخلوق في صورة إنها الله فإعتقدها و نسب الألوهية إليها. ظهر للنصارى مقيدا بالمسيح و الرهبان و ظهر متجليا لليهود في العزير و الأحبار، كما أن الله هو المتجلي للمجوس في النار و للتنّويه في النور و الظلمة و غير ذلك، و هو الذي إعترف به أبن تيمية و أعطاه ترسيما دينيّا توحيديا سماه توحيد الربوبية.

و إن قيل: المسيح هو نور الله فهذا القول، و إن كان من جنس قول النصارى، فهو شر من قول النصارى، فإن النصارى يقولون: إن المسيح هو الناسوت، و الاهوت الذي هو الكلمة هي جوهر الإبن، و هم يقولون بإتحاد الاهوت و الناسوت متجدد حين خلق بدن المسيح، و أيضا فتخصيص المسيح بكونه ذلك النور و بأن الله أو إبن الله و هؤلاء الإتحادية ضموا إلى قول النصارى و قولهم بعموم الإتحاد، حيث جعلوا في غير المسيح ما تقوله النصارى في المسيح.[1]

كما ذكر كذلك إبن تميمة أنه قيل، فخلف من نوره أدم، و جعله كالمرآة، قيل أنه ذلك النور و أدم هو تلك المرآة ، فكيف يكون أدم مخلوق من نور المسيح، و هذا لا يتقبله العقل مع العلم أن أدم عليه السلام خلق قبل عيسى (المسيح)، و المسيح إبن مريم خلق من مريم و مريم من ذرية أدم؟

يبدو أن الزهاد المسلمين، قد أصابوا معرفة لا بأس بها عن صفاة المسيح الواردة في الإنجيل و لكن الأمر الذي يجلب الإنتباه هو الدور الضئيل الذي لعبته هذه الصفات في تشكيل صورة المسيح في معتقدات المسلمين، فالسيد المسيح في التصور الإسلامي هو بالدرجة الأولى زاهد عظيم.[2]

---

[1] بن تيمية أحمد بن عبد الحليم، مجموع فتاوى، م 2، تح: قاسم عبد الرحمن بن محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، د(ط) ،2004،ص :317-318 .

[2] أندريه تور، التصرف الإسلامي، المرجع السابق، ص: 35.

هو كالقديس الذي إستغنى عن كل ملذات الدنيا و إرتباطاتها، ويقتات بما توجد به الطبيعة له.

و حسب ما ينقله كعب الأحبار أنه كان عيسى بن مريم... سبط الرأس و لم يدهن رأسه قط، و كان عيسى يمشي حافيا،و لم يتخذ بيتا و لا حلية و لا متاعا و لا ثباتا و لا رزقا إلا قوته اليومي، و كان حيثما غابت الشمس صف قدميه و صلى حتى الصبح.[1]

فكعب الأحبار كان واحد من أفضل العارفين بالتوراة و الإنجيل، و معنى هذا هو أن التعبد الزهدي الصوفي المتبع في الكنائس المسيحية ، قد ترك أثار مهمة على المتصوفين المسلمين.

فالواقع أن التصوف يسعه لتحقيق هدف يخالف تماما ما سعى لتحقيقه الزهد المسيحي.[2]

هدف الرهبان يكمن في تحول الإنسان من كائن أرضي الى كائن سماوي أي معرفة الذات الإلهية في النظرة الصوفية للسيد المسيح كان لها أبعاد قديمة و مرجعيات كثيرة لا بد الإحاطة بتلك المعرفة و لو نبذة منها. ففي النظرة الصوفية لفكرة المسيح نجدها عند الإغريق، ظهرت في الأفلاطونية المحدثة مع أفلوطين في القرون الثلاث الأولى للميلاد بوجه أخص.

الصلة بين المسيحية و بين الأفلاطونية المحدثة، خصوصا و أنها مسألة شائكة تتصل بنشأة المسيحية خاصة، نجد أفلوطين يقول لنا تارة . و ذلك في التّساعات الرابعة "

---

[1] بن عثمان علي الهجويري، كشف المحجوب، تر: قنديل إسعاد عبد الهادي،دار النهضة العربية، بيروت، د (ط)، 1980، ص:253.

[2] أندريه تور، التصوف الإسلامي، المرجع السابق، ص: 52.

يجب عليّ أن أدخل في نفسي و من هنا أستيقظ و بهذه اليقظة أتحد بالله."[1]

نجد أن هذه الفلسفة متأثرة منذ البداية بالتجربة الدينية مفهومة على نحو صوفي.[2]

حين نظر أفلوطين حول نفسه في الإسكندرية مسقط رأسه لصح إشارات تدل على نمو التساهل و الامبالات بالحياة الدينية و كثير من الأحداث لإضطهاد روما و إنهيار الأخلاق و هو الذي هدى أفلوطين إلى إلتماس الحقيقة في وحي يعلو على الفكر ذاته.

نجد أن إله الأفلاطونية الحديثة موجود في العالم فضلا عن أنه متعال على العالم، و نظرا لأنه سبب كل شيئ فهو موجود في كل مكان و نظرا لأنه مخالف لكل الأشياء فهو في غير مكان، و يقول الأفلاطونيون المحدثون بجواز خلود المادة أو ثباتها على نحو ما.[3]

فالله هو العقل بالمعنى السامي منبع العقول، و معرفة الله أو رؤيته هي بمثابة الحد الأعلى لكل معرفة عقلية، بمعنى متى فرغت النفس إلى نفسها ترى الله.

أفلوطين يقول بصدور الموجودات عن المبدأ الأول صدورا ضروريا و أن الأقنوم الثاني عند أفلوطين، أي العقل الكلي، متمايز من الأول و أدنى منه مرتبة.[4]

من هذا في الأفلاطونية المحدثة، فإنها تبدأ من الإنسان، كي ترتفع به إلى مقام الألوهية و أن أفلوطين لا يقول بأنّ الأقانيم الثلاثة هي الله، و إنما يجعل هذه الأقانيم منفصلة عن المبدع الأول أو الواحد.

---

(1) أفلوطين، التّساعية الرابعة في النفس، تر: زكريا فؤاد، المكتبة العربية، القاهرة، د (ط)، 1970، ص: 56.

(2) بدوي عبد الرحمن، فريق الفكر اليوناني، مكتبه النهضة المصرية، القاهرة، ط (4)، 1970، ص: 117.

(3) إقبال محمد، تطور الفكر الفلسفي في إيران. تر: الشافعي حسن محمد، الدار الفنية، القاهرة، ط (1)، 1989، ص: 93.

(4) كرم يوسف، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، المرجع السابق، ص: 25.

أما فيما يخص الثنوية الإيرانية زرادشت، أن زرادشت ورث مبدأين أساسيين عن أجداده الآريين:

أ-الأول هو وجود نظام او قانون في الطبيعة.

ب-و الثاني هو وجود الصراع فيها.

و من ملاحظة كل من القانون و الصراع في مجالات الوجود المترامية يتشكل الأساس الفلسفي لمذهبه كما أن مراحل الزرادشتية التي إنتشرت في العالم الروماني في القرن الثاني،و قد عيد أتباع الشمس التي إعتبروها النصير العظيم للنور، كما ذهبوا أن النفس جزء من الإله و ان ممارسة الطقوس السّرية يمكن أن تحقق إتحاد النفوس بالإله و تشّبه آراؤهم في النفس و عروجها إلى الله من طريق تهذيب البدن، و إجتياز عالم الأثير، كي تصبح في النهاية نارا خالصة تشبه مذاهب مارسها فيما بعد بعض الصوفية الإرانيين.[1]

و منه أن زرادشت إيران القديمة كان من الناحية العقائدية موحدا، و أن كان من الوجهة الفلسفية ثنويًا، و هذه الفكرة التي هي من وجهة نظر ميتا فيزيقية يبدو أن فكرته قد أثرت على الفلسفة الإغريقية القديمة، و على الفكر الغنوصي المسيحي المبكر.

مع العلم أن الغنوصية مدرسة فلسفية دينية ظهرت في القرون الأولى للمسيحية،حاولت أن تمزج اللاهوت المسيحي بديانات الشرق القديم، و الأفلاطونية الجديدة بالفيثاغورية وغايتها الوصول إلى الله بكل ما في النفس من قوة.[2]

مصير الروح الإنسانية هو في غاية البساطة عند زرادشت، فالنفس في نظره مخلوقة وليست جزءا من الإله، إنها حرة لتختار فقط واحدة من خطتين في أفعالها: الخير و الشر

---

[1] إقبال محمد، تطور الفكر الفلسفي في إيران، المرجع السابق، ص: 18-28.

[2] جلسون إتين هنري، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، تر:عبد الفاتح إمام، مكتبة مدبولي. الكويت، ط (3)، 1996، ص: 163.

وبجانب قدرتها على الإختيار، فقد زودتها روح الخير بالقوة التالية: الوعي، القوة الحيوية،النفس، الذهن، الروح، العقل، الفراواشي (نوع من الروح الراعية التي تعمل على حفظ الإنسان في تساميه نحو الإله). و ظل أوغسطين حوالي تسع سنوات معتنقا للثنائية المانوية لأنه رأى فيها وسيلة لفهم العالم المركب من الخير و الشر، فمن طبيعة الوجود عندهم أن توجد الظلمة إلى جانب النور.[1]

أي نجد في الفكر الإيراني القديم، عند زرادشت إزدواجية الخير و الشر، النور والظلام،هذا من جهة و من جهة أخرى أوجد أوغطسين ما يبرر وجود الشر في العالم، كما نجد تقارب كبير بين المسيحية و زرادشت و يتجلى هذا في:

مرضى و متحضرين أولئك الذين كانوا يحتقرون الجسد و الأرض و إبتدعوا العالم السماوي و قطرات الدم المخلصة. لقد حدثت لزرادشت في دعاة الماوراء (ما وراء الإنسان)،و هذا إشارة إلى التأويل الذي يقدمه بولس عن واقعت صلب المسيح.[2]

إذا هنا نجد فداء المسيح يعتبرون انه وهب دمه على الصليب من أجل خلاص البشرية، هذا فيما يخص بعض التشابه كما هناك بعض التضاد في الأفكار و القيم فنجد لدى زرادشت. أنه لا ينبغي للإنسان العارف أن يحب أعداءه فحسب ، بل قادر على كره أصدقائه، و أيضا أطالبكم بأن تضيعوني و أن تجدوا أنفسكم، و إني لن أعود إليكم إلا عندما تكونوا قد أنكرتموني جميعا.[3]

هنا نجد قلب للقيم الإنجيلية، اليسوعية في وصايا يسوع المسيح، و أيضا في طقس الوداع الذي يقيمه زرادشت مع تلاميذه أو بالأحرى العشاء السّري، و كذا في العودة مرتين

---

[1] جلسون إتين هنري ، المرجع السابق، ص: 164.

[2] نيتشه فريدريش، هكذا تكلم زرادشت، تر: مصباح علي، منشورات الجمل، بغداد، ط (1)، 2007، ص: 150.

[3] المرجع نفسه، ص: 157.

كما فعل المسيح، فهي غير كافية لزرادشت إنه يريد مرة ثالثة لعلها المرة التي سيتم فيها فعل التصحيح الحق.

و مرة أخرى ستغدون أصدقائي من جديد و أبناء الأمل الواحد: عندها سأحل للمرة الثالثة بينكم، كي أحتفل معكم بالظهيرة العظمى،(الساعة التي تستقر الشمس فيها في قلب السماء.)[1]

فالصوفي في أي ثقافة، عادة ما يؤول تجربته من منظور العقيدة أو الدين الذي نضج عليه، لكنه يمكن في حالة تجاوزه لثقافته أن يطرح هذه العقائد الدينية و يظل محتفظ بوعيه الصوفي، خاصة في الكتابات الشعرية لكبار المتصوفة أمثال النفري. جلال الدين الرومي ومحي الدين إبن عربي.[2]

أي التصوف هو المصدر النهائي لكل دين، و هو ما هيئته، فتأثر بالمسيح و تعاليمه العديد من المتصوفة حيث إنطوى تراث إبن عربي مثلا على أوصاف كثيرة للمسيح.

أن الإسلام حوى حقيقة عيسى و إنطوى شرعه على شرعه، و إن كان تمثل روح المسيح يصور في الكنائس ، و يتعبّد بالتوجه إليه لأن أصوله كانت عن تمثل تلك الحقيقة في أمته، فقد شرع لنا الرسول صل الله عليه و سلم أن نعبد الله كأننا نراه، فادخله لنا في الخيال وهذا معنى التصوير وان كان قد نهى عنه في الحس .[3]

---

[1] نيتشه فريدريش ،المرجع السابق، ص: 156.

[2] نجاة بلحمام، ظاهرة التصوف الإيجابي في فكر محمد إقبال، أطروحة دكتوراه في الفلسفة، إشراف: محمد عبد الاوي، جامعة وهران، 2011، ص: 234.

[3] إبن عربي ، الفتوحات المكية ،ج1 ، تح: شمس الدين أحمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1999، ص: 338.

حضور المسيح في التراث الصوفي الإسلامي، و أثره الكبير في متصوفة الإسلام،فمفهوم الحب الإلهي و ما بينه من تعاليم المحبة في الإنجيل. "فإن الإنجيل أمر أتباعه بالإحسان و إكرام الغريب على خلاف موقف التوراة."[1]

فقد كانت صورة المسيح كنبيّ جلية في فكر إبن عربي و غيره من الصوفية، و لو تأملنا في التجربة الروحية فإننا نجد من ضمنها شوق المتصوف الدائم إلى الترقي في المراتب و السعي إلى ملامسة مكانة النبي و من بينهم عيسى عليه السلام،[2] و يؤكد على الحكيم الترمذي أن للمسيح أثره البارز في عقيدة الولاية عند المتصوفة في:

الختم ختمان، ختم يختم الله به الولاية العامة، و ختم يختم به الولاية المحمدية ، فأما ختم الولاية على الإطلاق فهو عيسى عليه السلام ، فهو الولي بالنبوة المطلقة في زمان هذه الأمة، و قد حيل بينه و بين نبوة التشريع و الرسالة ، فينزل في أخر الزمان بنبوة مطلقة.[3]

أي في القرن الأول، كان الإعتقاد بالإيمان نقي، و كان يطلق على إسم المتصوفة اليوم بإسم الزهاد، قال عليه الصلاة و السلام "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل."[4]

فكان التشبه بالسابقين من النصف الثاني من القرن الثاني و القرن الثالث.

كانت صورة المسيح في التراث الصوفي جلية الملامح، عبر كتابات العديد من المتصوفة المسلمين، و عبر نزاعاتهم الروحية، و عبر مقاماتهم و شطحاتهم، و إن تنحت

---

[1] عكاشة شايف، منهجية الأمر و النفي في الأديان السماوية: دراسة مقارنة، دار الغرب، وهران، د(ط) ، 2003: ص: 325.

[2] بلخير خديجة، النبوة في الأديان السماوية و علاقتها بالتصوف الإسلامي، الخلدونية، العدد :8، جامعة تيارت، 2015، ص: 265.

[3] الترمذي أبي عبد الله محمد بن علي، كتاب ختم الأولياء، تح: يحي عثمان إسماعيل، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د (ط)، 1965،ص: 498.

[4] رواه الترمذي، كتاب الزهد: باب ما جاء في قصر الأمل، 2333.

في صورة المسيح و شخصه، تمثالا صامدا عبر الزّمن، بوصفه يجسّد الرغبة الجامحة في الإلتحاق بالله، كما مكنت صورة المسيح المتصوفة المسلمين من الظفر بالهوية الغيبية.[1]

و يبرز تبرير مشروعية التأثر بالمسيح ، من خلال إيمان المتصورفة بوحدة الأديان و عدم الاعتراف بالفواصل الزمنية بينهما، بإعتبار وحدة مصدرها و أهدافها، حيث يغزو الحلاج وحدة الأديان إلى المحبة الإلهية.

بدأ هذا من القرن الثالث إلى أوساط القرن الرابع بدخول الألفاظ الموهمة و على رأسهم الحسين بن منصور الحلاج.

[1] سالم أحمد، صورة المسيح في التراث الصوفي الإسلامي، حفريات ، www.hafryat.com ، اليوم: 2018.03.22. على الساعة:15:12، ص: 04.

الفصل الثاني :الفلسفة الصّوفية للحلاّج

المبحث الأول : تجربة التجلي عند الحسين ابن منصور الحلاّج

المبحث الثاني :الاهـوت والناســوت

المبحث الثالث :فكـرة الحلول

المبحث الأول : تجربة التجلي عند الحسين ابن منصور الحلاّج

هناك مدرستان صوفيتان كانتا قد أسهمتا في نمو وتطور التصوف في المشرق الإسلامي المدرسة الأولى مدرسة بغداد التي كانت مدرسة عقلية فلسفية فضلا عن المنهج الزهدي الضروري لإعادة التصوف ، ومن أبرز أقطاب هذه المدرسة معروف الكرخي والحارث المحاسبي ، والجنيد البغدادي، والمدرسة الثانية مدرسة نيسابور التي أقامت كيانها على أساس أقرب إلى التطبيق العملي الإنفعالي منه إلى الصدور عن العقل والثقافة والفلسفة.

ويبدوا نوعا أولا إلى الفناء بما فيه فكرة إنكار الذات التي يمكن اعتبارها فناء جزئيا عمليا وذلك بإفناء المصلحة الشخصية أولا ، وسيرا بهذا المنطق مع التوجه إلى المثل الأعلى، وكان من أشهر أركانها : الحسين بن منصور الحلاّج[1] و أبو يزيد البسطامي.[2]

إذًا الاهتمام بالتصوف ليس حديث الساعة ، بل تناوله المؤرخون، والعلماء العرب والمسلمون، كما أولاه المستشرقون الاهتمام ، وان كانت الحياة الصوفية تعكس أعمق وجهات النظر اتجاه الوجود الدنيوي ، فإنها تمثل أيضا أعلى مظاهر التقوى الدينية النابعة من صدق الرابطة بين الإنسان والله.

---

(1) الحسين بن منصور الحلاّج ، حفيد رجل زرادشتي ، ولد في الطور من مقاطعة فارس ، جنوب غرب إيران في جوار قلعة البيضاء ، في سنة (244 هـ /857 م) ، تلقى تعليمه على سهل بن التستري ، ثم صاحبه بعد ذلك في منفاه البصرة ،وفي سنة 967 م انتقل الحلاّج إلى بغداد حيث تتلمذ على عثمان بن عمر المكي أحد كبار الأساتذة الروحانيين في تلك الحقبة ، ثم تزوج أثناءها ابنه أحد زملاءه وفي سنة 977 م ، تعرف الحلاّج بالحفيد ، قتل ببغداد سنة 309 هـ (أنظر كوربان هنري ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، تر : الصدرموس وأخرون ، عويدات للنشر والطباعة ، لبنان ، ط(2) ، 1998 ، ص : 297).

(2) حسن جياد عبد الرضا ، الأسرار والرموز والعلم الدفين عند الحلاّج ، القادسية في الأداب والعلوم التربوية ، م7 ، العددان(1-2) ،جامعة القادسية،2008 ،ص :102 .

فالتصوف أصل الكلمة محل خلاف بين العلماء هناك القائلون باشتقاق الكلمة أهل الصفة الفقراء ، ويختلف علماء على الصفاء والصوف ...، فكل صوفي يعبر عن حاله وأحوال الخلق الروحية تختلف مثلما تختلف أحوالهم في العيش ،وباختصار شديد أن التصوف هو فن الوصول إلى الله.[1]

انتزعوا حب الدنيا من قلوبكم فكان الله منتهى مطلوبهم وغاية مرعوبهم ومن ثم بعدما كان الزهد في البدء طاغية عليها مخافة الله ، أصبح معبرا إلى الحب وكان الانتقال من أفكار الزهد المعروفة في النصف الأخير من القرن الثاني هجري والثامن ميلادي إلى مذاقات الحب والفناء والمعرفة انتقالا طبيعيا.[2]

أي تصور الصلة بين الله والإنسان ، صّلة مجد بمحبوبه وصلة العابد بمعبوده وأفراده بوجود الحق ، وهذا الانتقال الطبيعي كان من الطبيعي أن يقع في العداء بين الطائفتين إن صّح التعبير لاختلافهما في الفكرة والمنهج والعاطفة وكان هذا الاختلاف حوالي القرن الرابع هجري والتاسع ميلادي.

لم يكن الحلاّج [3] يختلف عن غيره من الصوفية من حيث تقيده بالشريعة ، فقد إلتزم بها كما إلتزموا ولم يحد عنها قيد شعره كما لم يحيدوا ،وكان يكثر من آداء النوافل إلى جانب ما فرضه الكتاب والسنة من عبادات وطاعات كما كانوا يكثرون. [4]

---

[1] بهجت أحمد ، بحار الحب عند الصوفية ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، ط(2) ، 1982، ص :45-46 .

[2] بن الطيّب محمد ، إسلام المتصّوفة ، دار الطليعة ، لبنان ، ط(1) ، 2007 ، ص :35-36 .

[3] سمي بعدة أسامي كان أشهرها حلاجا ، واختلف فيه الكثير نسبه لعلمه حلاج الصوف ، ولقب أيضا بحلاج الأسرار ، لقدرته على قراءة القلوب مميزا بين الحقيقة والكذب وأبا بالمغيث (في الهند) ،وأبو عبد الله الزاهد (في فارس) ، والمميّز (في فرسان) والمصطلم (في بغداد) ، والمحيّر (في البصرة) (أنظر ماسينيون لويس ، آلام الحلاّج ، تر : حلاج الحسين مصطفى ، شركة قَدمُس ، بيروت ،ط(1) ،2004 ، ص : 125-126) والبيضاوي (ببغداد).

[4] خيّاطة نهاد ، دراسة في التجربة الصوفية ، دار المعرفة ، دمشق ،ط(1) ، 1994،ص :156 .

ففلسفة المتصوفة بشكل عام لغة خاصة بهم ،وتعبيرات فنية استقلوا بها في الإفصاح عن آرائهم و أغراضهم ، كما نجد بعضها يعد من الأسرار المكتومة والبوح بها يعتبر خرقا لقواعد التصوف .

عبر الحلاّج عن ذلك فقال :

من أطلعوه على سر فباح به لم يأمنوه على الأسرار ماعاشا

وعاقبوه على ما كان من زلّل وأبدلوه مكان الأنس إيحاشا.[1]

ومنه الحلاّج لم يؤمن بضرورة الكتمان خلال حياته ، حتى اضطر شيخ متصوفة بغداد الجنيد إلى طرده من مجلسه العلمي.

لقد أراد تطوير في الشريعة بمقدار ما تسمح له تجربته الميتافيزيقية بالتطوير وهذا ما أدى به إلى الاصطدام بالصوفية الذي نبذوا و تبرؤوا منه.[2]

بحيث أنه يختلف عنه من حيث اقتصارهم على تفسير تجربتهم في إيطار الشريعة وعند هذه النقطة بالذات كان اختلاف الحلاّج عن الصوفية عصره.

الفقهاء كانوا يأخذون على مذهبه في الاتحاد الصوفي ،أنه يختلط بين الإلهي و الإنساني ، فينتهي إلى ضرب من الحلولية وأما السياسيون فكانوا يتهمونه بأنه يزرع الفتنة في العقول ويعاملونه كمشاغب ،وأما الصوفية فكانوا يلتزمون التحفظ حول شخصية الحلاّج لأنهم كانوا يعتبرون أنه كان يرتكب حماقة كبرى بنشره أسرارً إلهية على عامة من الناس لم تتهيأ لا لتلقيها ولا لفهمها .[3]

---

(1) الحلاّج ، أخبار الحلاّج أو مناجيات الحلاّج ، تح :ماسنيون لويس وكراوس بول ، التكوين ، دمشق ، د(ط) ، 1955 ، ص128.

(2) بدوي عبد الرحمان ،شخصيات قلقة في الإسلام ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط(2) ، 1964 ، ص :69

(3) كوربان هنري ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، المرجع السابق ،ص :298 .

وهذا راجع إلى الدعّوة جهرا على ما يعتقد بعد عودته من مكة وقد تعمقت تجربته مما أثار تحفظ الصوفية ، فهؤلاء يتوقون كثيرا من اطلاع الناس على أسرارهم خشية وقوعها تحت طائلة فقهاء الشريعة من ناحية و طائلة الدولة من جهة أخرى.

يحفظ العلامة روزبهان البقلي في تفسيره –عرائس البيان–شذرات من تقسيم الحلاّج ،نماذج من التفسير و التفكير ، والحلاّج يرى أن في القرآن علم كل شيئ ، وعلم القرآن في الأحرف التي في أوائل السور ، وأن كل هذه العلوم قد أحاط بها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وهي للعارفين بحكم الميراث المحمدي ،وهي سر الحكمة والجلال الذي يشرف في أقوال العارفين من الصوفية.[1]

في قوله تعالى :﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ(34)** ﴾[2]

قال الحسين ابن منصور :لّما قيل لإبليس اسجد لآدم خاطب الحق :ارفع شرف السجود عن السّرى إلا لك في السجود ، حتى أسجد له إن كنت أمرتني فقد نهتني ،فقال له : فاني أعذبك عذاب الأبد ، فقال : أولست تراني في عذابك لي فقال : بلى ، فقال : فرؤيتك لي تُحَملني على رؤية العذاب ،افعل بي ما شئت.[3]

أن كل ما يريده الله واقع لا محال ،وأن من أحال المعاصي إلى الله فقد فجر ،وأن ابليس في نظر الحلاّج محب صادق الحب ،لأن سيطرة تنزيه الله عليه ألهمته ألا يسجد لغير من يستحق السجود تعظيما وتفريدا لحبه ، و أنشأ يقول :

جُحودي لكَ تقديسُ وظّني فيك تَهويسُ

---

(1) سرور طه عبد الباقي ، الحسين بن منصور الحلاّج ، هنداوي ، مصر ،د(ط) ، 1961 ، ص :51 .

(2) سورة البقرة ، الآية :34 .

(3) بن أبي نصر البقلي أبي محمد صدر الدين روزبهان ،عرائس البيان في حقائق القرآن ،تح :المزيدي أحمد فريد ، دار الكتب العلمية ،لبنان ،ط(1) ،2008 ،ص :43 .

وما آدّمُ إلاّ كً ومن في البَينِ إبليسُ.[1]

وفي طاسين الأزل و الالتباس قال السيد الغريب أبو المغيث ، ما صحت الدعاوي لأحد ،إلا لإبليس وأحمد صلى الله عليه وسلم غير أن إبليس سقط في العين وأحمد صلى الله عليه وسلم كشف له عن عين العين.

قيل لإبليس أسجد ،ولأحمد أنظر ، هذا ما سجد و، أحمد ما نظر ،ما التفت يمينا ولا شمالا.[2]

لقوله تعالى : ﴿ **مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى**﴾ [3]

إذًا هذا واضح في كتاب الحلاّج ، الطواسين، [4] وهو الكتاب المتبقي في وسط الكتب الضائعة التي أتلفت أو أحرقت والذي يتكون من رسومات لها إيحاءات ورموز عديدة فسرها المتصوف روزبهان في كتابه" شرح الشطحيات " ولكن مع الأسف لم يترجم إلى العربية بل بقي بلغته الأصل هي اللغة الفارسية لكن نجدها مهمشة باللغة العربية من قبل المحققين لكتب الحلاّج.

---

[1] الحلاّج ، ديوان الحلاّج ، تح :عيون السود محمد باسل، دار الكتب العلمية ، بيروت،ط(2) ،2002،ص : 142 .

[2] الحلاّج ، الأعمال الكاملة : الطواسين ،تح :عباس قاسم محمد ، رياض الريس للكتب ،لبنان ، ط(1) ،2002 ، ص :191 .

[3] سورة النجم ، الآية : 170 .

[4] له مؤلفات كثيرة أهمها : (الطواسين) يتضمن إحدى عشر فصلا تشرح نظريته في الولاية منها : كتاب طاسين الأزل والجوهر الأكبر والشجرة الزيتونة النورية ، كتاب الأحرف المحدثة و الأزلية والأسماء الكلية ،كتاب الظل الممدود والماء المسكوب والحياة الباقية ، كتاب حمل النور والحياة والأرواح ، كتاب الصيهور ، كتاب تفسير قل هو الله أحد ، كتاب الأبد والمأبود ، كتاب القرآن والفرقان ، كتاب خلق الإنسان والبيان ،كتاب كيد الشيطان وأمر السلطان وغيرها كثيرة (أنظر ديركي هيفرو محمد علي ، أعلام الصوفية ، دار التكوين ، دمشق ، ط(1) ، 2009 ، ص :35 .)

ففي شرح طاسين الأزل و الالتباس في فهم الفهم كما ذكر روزبهان ، هو أنه طاسين الأزل و الالتباس رمز الإشارة من المعرفة إلى السعادة الأزلية والحقائق الأبدية.[1]

فيراد بالعين حقيقة مراد الحق في علم الأزل ، كما امتحن إبليس ، ويريد روزبهان حقيقة مراد الحق إلى أن الله لم يرد إبليس السجود ، لكنه أمره بذلك ولو أراد ذلك لسجد . وأما في كلمة صلى الله عليه وسلم فهو رئيس الملائكة هناك ، وسيد بني آدم هنا حسب روزبهان في شرح الشطحيات الصوفية.

وفي قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (31)**﴾ [2]

قال ابن منصور : حقيقة المحبة قيامك مع محبوبك بخلع أوصافك والاتصاف باتصافه.[3]

هذا المنهج الحلاّجي الثقافي يتسم بالوجد الصوفي والحب الإلهي ، وقراءة القرآن عنده بإحساس ومشاهدة ، وكن القارئ يسمع إلى الله سبحانه.

وكذا في سورة المائدة قوله تعالى﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (54)** [4]

بيّن تعالى أن المحبة من خواص صفته الأزلية ، لأنه كان بذاته يحب أحباءه ،كما أن تعالى يجب الأولياء بذاته وصفاته فهم يحبون الله بذاتهم وصفاتهم ، من جميع الوجوه

---

[1] الحلاّج ، الأعمال الكاملة : الطواسين ، المصدر السابق ، ص :189 .

[2] سورة آل عمران ، الآية : 31 .

[3] البقلي روزبهان ، عرائس البيان في حقائق القرآن ، المصدر السابق ، ص :142 .

[4] سورة المائدة ، الآية :54 .

ومحبة العباد مصدرها قلوبهم ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ لأن كونهم لم يكن إلا يكون وجوده ووجود سبب وجودهم ، وهو تعالى أحب فعله ومرجع الفعل صفته ، فكأنه أحب صفته ، ومرجع صفته ذاته ، فكان هو المحب وهو المحبوب وصفته المحبة ،وهم يحبونه بتجلي الصفة في قلوبهم .[1]

إذا من الآيتين المذكورتين ،ففي الآية الأولى من سورة المائدة أنه من يرتّد على دين الله فليس له نصيب من محبة الله وفي الآية الثانية من سورة آل عمران أن الله تعالى قد أحبهم في الأزل وهم بمحبته يحبونه ، والمحبة هنا شرط.

وهذه إشارة قوله سبحانه بلسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، " فإذا أحببتهُ كنتُ له سمعًا وبصرًا ولسانًا ويدًا ."[2]

وفي هذا المعنى أنشد الحسين بن منصور فقال :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا.[3]

ومنه نجد أنه إذا كان كذلك فالمحب والمحبوب والمحبة في عين الجمع واحد ، كما عج الحلاّج المحبّة سبيل الوصول إلى الحقّ ، كما نجد في الحقيقة أن رابعة العدوية هي من حَملة راية الحب الإلهي وسلمتها لشيوخ الصوفيّة الذين أتوا بعدها ومن أقوالها :

---

(1) البقلي روزبهان ، عرائس البيان في حقائق القرآن ، المصدر السابق ، ص :317.

(2) بن عبد الله الأصفهاني أبي نعيم ، حليه الأولياء وطبقات الأصفياء ، ج8 ، دار الفكر ، لبنان ، د(ط)، 1996 ، ص :319 .

(3) الحلاّج ، ديوان الحلاّج ، تح :عيون السود محمد باسل، المصدر السابق ، ص : 158.

أحِبُكَ حُبَيْنِ حُبَ الهَـوىٰ وحُـبْاً لأنَـكَ أهْـــلٌ لـذَاك
فأما الذي هُوَ حُبُ الهَوىٰ فَشُغْلِي بذِكْـرِكَ عَمَنْ سِواكْ
وأما الذي أنْتَ أهــلٌ لَهُ فكَّشفت الحجب حَتىٰ أراكْ[1]

وقولها كذلك عندما سألها سفيان الثوري ما حقيقة إيمانك : فتقول " ما عبدته خوفا من ناره، ولا حبا لجنته ، فأكون كالأجير السوء ، إن خاف عمل ،بل عبدته حبًّا له وشوقًا إليه."[2]

وكذا في نسبه الحب إلى الله تعالى عند ابن عربي نجده يقول :

بالحب صح وجوب الحق حيث يُرَى فيا وفيه ولسنا عين أشباه
أستغفر الله ممّا قلت فيه وقد أقول من جهّةُ الشـكرُ لله

إذًا فالحب مقام الهي ، وقد وردت المحبة في القرآن والسنة ، في حق الله وفي حق المخلوقين ووصف الحق تعالى به نفسه وتسمى بالودود .

وقد كان الصوفية على اختلافهم يتصورون طريقا للسلوك إلى الله والتي بدأت من القرن الثالث هجري ، يبدأ بمجاهدة النفس ، ويتدّرج السالك لك في مراحل متعددة تعرف عندهم بالأحوال والمقامات والتي تنتهي إلى معرفة الله.[3]

المجاهدة عند الصوفية الأوائل هو الجهاد الأكبر ، كما يعتبر الانطلاق على طريق التطهير الروحي فترجع هذه النفس إلى ربّها راضية .

---

(1) خفاجي محمد عبد المنعم ، التصوف في الإسلام و أعلامه ، دار الوفاء ، القاهرة ، د(ط) ، 2001 ، ص :24 .

(2) الحريفيش شعيب بن سعد ، الروض الفائق في المواعظ والرقائق ، تح : الكيالي عاصم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط(1) ، 2004 ، ص : 117 .

(3) هدي فاطمة الزهراء ، جمالية الرمز في الشعر الصوفي ، مذكرة ماجستير في الأدب العربي الحديث ،اشراف : مرتاض محمد ، جامعة ابي بكر بلقايد ، تلمسان ، 2006 ، ص : 18 .

بداية الطريق هو مقام التوبة لقوله تعالى: ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ**﴾[1].وكذا مقام التوكل أي حسن الظّن ، كما إعتبر أيضا الصوفية الفقر الظاهري مقام ضروري يساوي تقريبا مع الفناء . وكذا مقام الصبر حتى يتصل إلى مقام الشكر أي الفوز بنعمة الله ، أما الأحوال فتمثلت في الخوف والرجاء ،الحضور والغيبة الصحو والسكر.[2]

والمقصود من الحضور هو الحضور في قرب الله والغيبّة أي الغيبّة عن الذات حتى يصل إلى حالتين الفناء والبقاء.

يرى الغزالي أن " الحب بدون المعرفة مستحيل ، فالمرء لا يحب إلا من يعرف"[3]

يمكن من هذا أن الحلاّج جعل مرتبة الحب أعلى من مرتبة الإيمان ، فوردت على لسان الحلاّج شطحات سيء فهمها وتأويلها وفهم تجربة الصوفية بوصفها تجربة روحية لا تنفصل بأيّ حال من الأحوال عن حلقات الروحانية الإسلامية.[4]

وإذًا ظهرت نظريات عديدة للتصوف أهمها نظرية وحدة الوجود والتي كانت عند إن العربي ووحدة الشهود التي كانت عند الحلاّج ولهذين الاصطلاحين اختزال في التجربة الصوفية في كل أبعادها .

وحدة الوجود وأصلها عند الحلاّج وقد اتخذت على يديه وجهة الحلول فلحظات التعقلن عند الحلاّج قليلة فهو تكوين روحاني شامل وحاضر في الزمان والمكان. [5] فحال وحدة الشهود هي حال الفناء ، وحال وحدة الوجود هي حال البقاء والفناء ، والبقاء متلازمان

---

[1] سورة النازعات ، الآية : 40 .

[2] الغزالي أبو حامد ، إحياء علوم الدين ، مركز الأهرام ، مصر ، ط(1) ، 1988 ،ص :321 ،352،338،329.

[3] المصدر نفسه ، ص : 245 .

[4] محمد عمار كاظم ، قراءة في تجربة الحلاّج الصوفية ، مجلة المدى ، العدد : 4128 ، 2013 ، ص : 01 .

[5] العلوي هادي ، مدارات صوفية ، دار المدى ، سوريا ، ط(1) ، 1997 ، ص :31 .

في تصانيفهم ، ما قاله قيس ليلى لما سئل عن ليلى أين هي؟ أجاب :أنا ليلى ، فقيس ، لما قال : ما قال كان فانيا عن نفسه، باقيا بليلى . [1]

إذا الفاني لا يحس بما حوله ، ولا يحس بنفسه ، فقد فنى عما سوى الله ، فهذا الكلام لا يفهمه ولا يتذوقه سواهم ، حينما يقولون ليس في الوجود إلا الله .

فناء عن الخلق وبقاء الحق ، لكن بقاءه ليس دوما بقاء بالحق ، لاضطراره بحكم بشريته ، فإصطلح الصوفية على تسمية هذه الحالة بمقام " الفرق" في مقابل مقام "الجمع".[2] "فإثبات الخلق من باب التفرقة واثبات الحق من نعت الجمع." [3]

ومن أهم ما ذكر أن يكون "الحق" من السوى ، في هذه الحال يكون الحق خلقا والخلق حقا ،فكما أن الفناء عن الخلق يوجب بقاء في الحق . كذلك إنّ الفناء عن الحق يوجب بقاء في الخلق ، الخلق المتحقق بكلية وجوده.[4]

إذا في هذه الحالة هذه هي التجربة التي بلغت الذروة العليا لمقام الفناء أو مقام الاتحاد لدى الحلاّج.

الصوفي تبدوا عليه الأحوال في الذكر ومنها غيبة الذاكر عن المذكور حالا حائلة لا تدوم.[5]

---

[1] خيّاطة نهاد ، دراسة في التجربة الصوفية ، المرجع السابق ، ص :05 .

[2] المرجع نفسه ، ص : 06 .

[3] القشيري النيسابوري أبو القاسم ، الرسالة القشيرية ، ج1، تح : بن الشريف محمود ومحمود عبد الحليم ، دار الشعب ، مصر ، د(ط)، 1989 ،ص : 254 .

[4] خيّاطة نهاد ، دراسة في التجربة الصوفية ، المرجع السابق ، ص :161 .

[5] الحلاّج ، شرح ديوان الحلاّج ، تح :الشيبي كامل مصطفى ، منشورات الجمل ، بيروت ،ط(1) ،1974 ، ص :198

بعد مقام الفناء ، مقام البقاء ، ويأتي بعد الوحدة ،مقام الجمع ، وبعد الجمع مقام التفرقة ، مع العلم أن مقام الجمع هو رؤية الحق بلا خلق ،وهي حالة وجدانية أو حالة دهشة وغيبة مع فقدان الإحساس بالأشياء وبالنفس .

وحالة الجمع هذه هي الحالة التي قال فيها الصّوفية ، الكلمات الجريئة التي عرفت باسم "الشّطح " التي هوجم التصوف والصوفية من أجلها ،وتُضرب الأمثال بكلمة أبي يزيد البسطامي –سبحاني – وبقول الحلاّج – أنا الحق– .[1]

الشطح معناه عبارة مستغربة في وصف وجد فاض بقوتّه ، فالشطح : لفظة مأخوذة من الحركة لأنها حركة أسرار الواجدين إذا قوّي وجدهم ، فعبروا عنه بعبارة يستغرب سامعها .[2]

هؤلاء الصوفية كانوا يتلفظون بألفاظ غريبة عجيبة ، لها إيحاءات لكن لا يفهمها العادي فيكون فهما خطأ وتعود على صاحبها بالعقاب والفتنة.

وقد ذكر أن شيخ الطائفة الجنيد ،سمع بأبا يزيد يسرف في الكلام ،على أنه يقول : سبحاني، سبحاني أنا ربّي الأعلى ! وكان الرّد على أن هذا الرجل مستهلك في شهود الإجلال ،فنطق بما استهلكه لذهوله عن رؤيته إياه ، فلم يشهد إلا الحق تعالى، فنعته فنطق به .[3]

إذًا تعمّقت الأحوال الصوفية ودقت المعاني وتفّردت ،فلم يعد بإمكان اللغة العادية أن تصّور الدقائق الصّوفية التي يوّد أهل الطريق البوح بها ، حتى صار بمثابة أزمة تجلت في شطحيات أبي يزيد البسطامي ، عبارات غريبة ، ظاهرها مستشنع وباطها صحيح مستقيم.

---

(1) سرور طه عبد الباقي ، الحسين بن منصور الحلاّج ، المرجع السابق ، ص: 29 .

(2) الحكيم سُعاد ، المعجم الصوفي " الحكمة في حدود الكلمة " ، دندرة ، لبنان ،ط(1) ،1981 ، ص650.

(3) بدوي عبد الرحمن ،شطحاتُ الصّوفية ، ج1 ،وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط(2) ،1986،ص :68.

مثل قول أبي يزيد : " أشرقت على ميدان الليسيّة ، فَمَا زلتُ أطِيرُ فيهِ عَشرَ سِنينَ ، حتى صِرتُ من ليسَ في ليسَ بِليسَ ، ثُمَ أشرفتُ عَلى التضْييع ،حتّى ضعْت في الضّياع ضياعًا، وضعْتُ ،فَضعْت عن التضْييع بليْس في ليسْ ، في ضياعة التضْييع ، ثمّ أشرفْت على التوحيد ،في غيْبوبة الخلقِ عن العارفِ ،وغيْبوبة العارفِ عن الخلقِ." [1]

هكذا لم يكن أمام الحلاّج سبيل الاستعانة بما سبقه ، وما يعاصره من التراث اللغوي الصوفي ،ومن ناحية أخرى ، لم يكن بإمكانه أن يسكت أمام طوارق الأحوال ،فصار عليه أن يؤسس تراثا لغويّا صوفيّا ، وأن يجد مخرجا يتجاوز به أزمة اللغة.[2]

إذًا لغة الحلاّج كانت محاولة لتأسيس مفردات لغّوية خاصة تحول دون التغيير عن الحقيقة الحال الذي يعاينه ،وفي هذا السياق يقول من (البسيط) :

وللعلم أهل وللإيمان ترتيبُ وللعلوم وأهليها تجاريبٌ[3]

[1] الطوسي نصر السراج ، اللمع في التصوف ،تح :محمود عبد الحليم وسرور طه عبد الباقي ، مكتبة المثنى ، بغداد ،د(ط) ،1960 ،ص 648 .

[2] خوالدية أسماء ، صرعى التصوف ،دار الأمان ، الرباط ، ط(1)، 2014،ص :125 .

[3] الحلاّج ، الأعمال الكاملة :الديوان ، مصدر سابق ، ص :291 .

المبحث الثاني : اللاهوت والناسوت

في ثنايا بعض النظريات الصّوفية في الحب الإلهي ببعض الألفاظ والعبارات والعقائد التي هي من أصل نصراني مثل القول :"باللاهوت والناسوت " أو "حلول اللاهوت في الناسوت " أي حلول الإله " اللاهوت " في المسيح الإنسان "الناسوت" أو حلول الأول في الثاني ،اذا بلغ هذا درجة معينة من الصفاء الروحي.[1]

وعلى هذا يوجد في علم الكلام نفس الإصدار الموجود في اللاهوت المسيحي وعلى وجود هّوة عظيمة بين الله والإنسان ، يعني بين اللاهوت أي صفات الخالق وما اتصل بالعُلويات والناسوت أي صفات المخلوق وما اتصل بالسلفيات.

وتجربة ضياع الفردية أو "فنائها" في الوجود اللامتناهي عند صوفية المسلمين تسمى بحالة الفناء ويتضايف مع الفناء حالة البقاء و التي تعني بقاء الروح التي مرت بتجربة الفناء في الله.[2]

وكذا مثل القول "بالكلمة" التي هي في النصرانية واسطة بين الله والخلق ،نجدها عند بعض الصوفية في التعبير عن نظرياتهم في الحقيقية المحمدية ،باعتبارها أو مخلوق خلقه الله ،وأن هذا لم يظهر إلا في وقت متأخر في أواخر القرن الثالث هجري.[3]

ومنه الكلمة مقصود بها الحقيقة المحمدية أنه مخلوق قبل الخلق كلّه ، وهذا ما نجدّه كذلك عند الحلاّج الذي قال هو الأخر " بالكلمة " وأنّ هذا لم يكن إلاّ في وقت متأخر ،بعد أن كان زهد الزهاد قد استقر في القرنين : الأول والثاني الهجرين ، وأصبح دعامة لكل تصّوف لاحق .

---

(1) ظهير إحسان الهي ، التصوف المنشأ والمصادر ، إدارة ترجمان السنة ، باكستان ، ط(1) ، 1986 ، ص :95 .

(2) ولترستيس ، التصوف والفلسفة ، تر : امام عبد الفاتح ، مكتبة مدبولي ،القاهرة ، د(ط) ، 1999 ، ص :149 .

(3) ظهير إحسان الهي ، المرجع السابق ، ص : 95 –95 .

يعد الحلاّج هو أول من نطق بالرمز في لغة الشعر ليعبر عن آفاق حبه للذات الإلهية ووجده فيها وشوقه إليها ،وفي الوقت نفسه يجعل من لغة الحب الإلهي أسلوبا تعبيريًا عن حاله وذوقه ومجاهدته الصوفية ، من جانب ،ومن جانب آخر ، ورد لفظ العشق بصورة واضحة في التعبير الصوفي عن الحب الإلهي.[1] وفي قوله من البسيط :

العُشقُ في أَزَلِ الآزالِ مِن قِدَمٍ فيهِ بِهِ مِنهُ يَبدو فيهِ إبداءُ
العُشقُ لا حَدَثٌ إذ كانَ هُو صفةً مِنَ الصَفاتِ لِمَن قَتَلاهُ أَحياءُ[2]

إن العشق قديم قِدم الأزل ، وبسبب هذا العشق وعلائقه المبثوثة في الوجود تنشأ حركة دائمة ما تفتأ تبدئ فيه ،أي تجعله في تجددّ لا ينتهي ، أما البيت الثاني على أن العشق صفة قديمة ،لا تبدأ من الأشياء بل هي قبل الأشياء ،فيصبح الحلاّج هذه الصفة على الذين قتلوا و ظلّوا أحياءً " لمن قتلاه أحياء. "[3]

تعد التجربّة الشخصية سبيلا إلى معرفته سبحانه ، وهو ما ينعكس عند الحلاّج في الأقوال والتصريحات ،حيث لا يرى ولا يسمع إلا الله ،وأنه مع الله دائما.

يرى الحلاّج أن الله هو الحب وأن الإنسان صورة لذاته ،يعاني من شدة حبه لله وتعلقه به إلى أن يصل إلى الاتحاد بالإدارة الإلهية .[4]

إذًا ذهب الصوفية من أنصار نظرية وحدة الوجود القائلة أنّ الكون هو صفات الذات الالهية أي مظهر الله الخارجي ، إلى أنّ الإنسان يتحد مع الله وعندما نعرف الاتحاد من حيث اللغة والاصطلاح على أنه :

---

[1] الجبوري نظلة أحمد ، سلاطين المتصوفة في العشق والمعرفة ، دار المدى ، بغداد ، ط(1) ،2016، ص : 20.

[2] الحلاّج ، الأعمال الكاملة :الديوان ، المصدر السابق ، ص :288 .

[3] الحصني عبد القادر ،شرح ديوان الحلاّج ، دار الفرقد ، سورية ، ط(1) ، 2011 ، ص :25-26 .

[4] عباسة محمد ، التصوف الاسلامي بين التأثر والتأثير ، حوليات التراث ، العدد :10 ،كلية الأداب والفنون ، مستغانم ،2010، ص :04 .

" امتزاج الشيئين ،واختلاطهما حتى يصيرا واحدًا ،لاتصال نهايات الاتحاد."[1]

ومنه الاتحاد يقتضي تصيير الذاتيين ذاتا واحدة ،وذلك أن أحدهما يحل في الآخر ، ومن وجه آخر ليس حلولا ، لأن كل واحدة من الذاتين يفقد طبيعة وتحل ذات أخرى وهذا ما نفاه ابن العربي حيث قال :

" إذا كان الاتحاد يصير الذاتين ذاتا واحدة ، فهو محال لأنه إن كان عين كل واحد منهما موجودًا في حال الاتحاد فهما ذاتان. "[2]

قال ابن عربي باستحالة ذلك ،لأنه يرى أنه ليس ثمة وجودان ، والاتحاد يقتضيهما قبل حدوث الاقتران والامتزاج والاختلاط ،وأما بعد ذلك فليس ثمة إلا وجود واحد .

والصوفيون وإنما يبحثون عن الحب الصافي النقي للإتحاد بالذات الإلهية ، حيث يلخص منصور الحلاّج هذا الأمر قائلا [3].

عجبتُ منك و منّي يا مُنْيَةَ المُتَمَنّي

أدنيتني منك حتّى ظننتُ أنّك أنّي[4]

إذًا الحلاّج يقصد أنه انشغل بالله إلى درجة أنه لا يشعر ماذا يفعل ف:

سبحان من اظهر ناسوتُهُ سرّ سنا لاهوتِه الثاقب

ثم بدا في لخلقه ظاهراً في صورة الآكل و الشارب

---

[1] الجرجاني علي بن محّمد السيد الشريف ،معجم التعريفات ، تح :المنشاوي محمد صديق ، دار الفضيلة،القاهرة ، د(ط) ،2004 ، ص :10 .

[2] ابن عربي محي الدين ، رسائل ابن عربي شرح مبتدأ الطوفان ورسائل أخرى ،تح : عباس قاسم محمد ، منشورات المجمع الثقافي ،إمارات السعودية المتحدّة ، ط(1) ، 1998 ، ص :48 .

[3] الربيعي إسماعيل نوري ، تحويلات الوجود والمعرفة عند الصوفية ،حوليات التراث ، العدد :10، الجامعة الأهلية ، مملكة البحرين ، 2010 ، ص 115 .

[4] الحلاّج ، الأعمال الكاملة : الديوان ، المصدر السابق ، ص: 321.

حتّى لقد عَايَنَهُ خَلْقُه كلحْظِة الحاجب بالحاجب[1]

استعمال الحلاّج للفظتي "اللاهوت والناسوت" . ذلك الذي يقول أن كل إنسان هو من حيث الجوهر ، مسيح بالقوة أو القول إنّ في قلب كل إنسان ومن خلال عقله وروحه توجد بذرة ألوهة .[2]

ومن أشكال التصوف شكل يوحي بأن التصوف حين يتحدّ بالله يعتبر نفسه وكأنه الإله بالذات ،وعلى هذا النحو كان الحلاّج ، وإستعمال والحلاّج لمصطلحي "اللاهوت والناسوت" ناتج على الأثر الذي تركته المسيحية في التصوف الإسلامي منذ الفتح .

إن العلاقة بين اللاهوت والناسوت في المسيح كانت مدار خلافات ووجهات نظر متباينة ، بل ومتضاربة أحيانا ،وصلت إلى حد نفي الألوهية في المسيح (النساطرة)[3] ،والى حد نفي البشرية فيه (المونوفيزية) [4]،وكان من أثر هذه الاختلافات انعقاد مجمع خلقيدونية في عام 451 م ، والذي قر حلا وسطا بين الطرفين.[5]

إذًا الاهوت والناسوت في المسيحية والتي أخذ عنها الحلاّج أهي مسيحية مجمع خلقدونية أم مسيحية النساطرة ، وقد جاء مجمع خلقدونية بالصيغة التالية :

---

[1] الحلاّج ، المصدر السابق ، ص: 291 .

[2] الحلاّج ، أخبار الحلاّج(من أندر الأصول المخطوطة في سيرة الحلاّج) ، تح : البغدادي علي بن أنجب السّاعي ، دار الطليعة الجديدة ، سورية ،ط(2) ،1997 ، ص :41 .

[3] النسطورية فهي نسبة إلى نسطور أونسطوريوس (نحو 380–451) ،المولود في قيصرية سوريا ، أنكر على مريم لقب أم الله ،مؤكد أنها أم المسيح وحسب ،و أتباعه هم النساطرة (أنظر جورافسكي أليكسي ، الإسلام والمسيحية ،المرجع السابق ، ص :98).

[4] المونوفيزية ظهرت في القرن الخامس للميلاد على أساس الفكرة القائلة ، إن للمسيح طبيعة واحدة ، أب أنّ يسوع المسيح إله كامل وإنسان كامل بآن واحد (أنظر جورافسكي أليكسي ،المرجع نفسه ، ص 98).

[5] غرديه لويس ، قدواتي جورج ، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسحية ،ج2 ، تح :الصالح صبحي وجبر فريد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، د(ط)، 1968 ، ص :309–317 .

أنّ المسيح ، ابن الله الوحيد، هو رب واحد ، في طبيعيتن بدون إمتزاج ولا تغيير وبدون تقسيم وتفريق ، ودون أن يُلغي هذا الإتحاد تمايز الطبيعتين ومع بقاء خواص كل من الطبيعتين على حالها .[1]

إذا الطبيعيتان الإلهية (اللاهوت) والبشرية (الناسوت) غير ممتزجتين وغير متفرقتين وغير منقسمتين ، في نفس الوقت ، لكنهما متحداتان ،واتحادهما لا يلغي تمايز أحدهما عن الأخر ، بل تبقى خواص كل منهما على حالها ، أي لا مجال للقول هنا "بفناء صوفي".

كانت هذه الأبيات توضح بجلاء لا شك فيه أن هذه الثنائية مستمدة من الفكر المسيحي ،[2] يقول عبد القادر محمود في كتابه –الفلسفة الصوفية في الإسلام– :"والحلاّج الذي مذهبه ينتمي إلى مذهب الخلاص المسيحي الذي يؤكد أنه لا سعادة إلا في خلاص الروح من حجابه ،وهو الجسد ، ولهذا سعى لتحطيم هذا الحجاب وكل حجب أخرى من الشعائر تقف حاجزا بينهما وبين حقيقتها المطلقة.[3]

إذا فالصوفية يستخدمون كلمة الحجاب بمعان متعددة حسب الحال الذي يتكلمون فيه أما فيما يخص اللاهوت و الناسوت عند الحلاّج في تجربته الصوفية فـ :

الحلاّج يقول مرة إنهما ممتزجان ومرة يقول أنهما غير ممتزجيين. [4]

---

[1] غرديه لويس ، قدواتي جورج ، المرجع نفسه ، ص : 317 .

[2] زروقي عبد الله ، الطرق الصوفية ومنطقاتها الفكرية و الأدبية بمنطقة توات دراسة تاريخية وأدبية (نماذج شعرية من ديوان سيدي عبد الكريم بن محمد البلبالي)، إشراف :بن منوفي محمد ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ، أطروحة دكتوراه العلوم في الأدب العربي ، 2017 ، ص : 46.

[3] محمود عبد القادر ، الفلسفة الصوفية في الإسلام ،دار الفكر العربي ،بيروت ،ط(1) ، 1976 ، ص :355 .

[4] خياطة نهاد ، دراسة في التجربة الصوفية ،المرجع السابق ، ص :146 .

"ناسوتيتي مستهلكة في لاهوتيتك غير ممازجة إياها ولاهوتيتك مستولية على ناسوتيتي غير مماسة لها. "[1]

بينما المسيحية تقول بأن اللاهوت والناسوت غير ممتزجين ، وأنّ إتحاد اللاهوت والناسوت لا يلغي أحدهما الآخر في المسيحية ، بينما يقول الحلاّج بإستهلاك الناسوت في اللاهوت.[2]

عند الصوفية في تفسير (سبحان من أظهر ناسوته..) مثل أبو بكر الشبلي أن هذا توحيد الخاصة ، وهو وجود عظمة وحدانية الله تعالى وحقيقة قربه ، بذهاب حس العبد وحركته لقيام الله تعالى فيما أراد منه ، وهو أن يوحدك الله ويفردك له ويشهدك ذلك ويغيبك به كما يشهدك وهذا صفة توحيد الخاصة.[3]

فهذا التفسير يعبر عن امتصاص التجلي في المبدأ ، نعني به وحدة الشهود أو الفناء الصوفي ، من حيث أن الحق تعالى يشهد لنفسه بنفسه بالوحدانية ، بينما أبيات الحلاّج تتحدث عن التجلي اللاهوت في حجاب الناسوت ، أو ظهور الحق في مظهر الخلق.

سبحان من (سبحان الله الذي) أظهر ناسوته (محل انعكاس التجلياته) سر سنالاهوته الثاقب(حقيقة أنوار تجلياته الأسمائية في خلقة للإنسان متمثلا في آدم) ، ثم بدا (ناسوته أي آدم) لخلقه (من الملائكة المأمورين بالسجود له) ظاهرا في صورة الأكل والشارب (بعد تعيين التجليات الأسمائية في صورة آدم وقوله تعالى له ولزوجته :﴿ **يَا آدَمُ**

---

[1] الحلاّج ، أخبار الحلاّج أو مناجيات الحلاّج ، المصدر السابق ، ص :12 .

[2] خيّاطة نهاد ، المرجع السابق ، ص :146 .

[3] الحلاّج ، شرح ديوان الحلاّج ،المصدر السابق ، ص :161 .

اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا...﴾[1] حتى عاينه خلقة كلحظة الحاجب بالحاجب (رؤية العين من قبل خلقة الملائكة)[2] .

نظرية الحلاّج إشارة إلى المذهب القائل بثنائية الطبيعة الإلهية "اللاهوت والناسوت" الثنانية هي " كون وحدتين ، أهي كون الشيئ الواحد مشتملا على مبدأين مستقليين لا ينحل أحدهما إلى الآخر كالجسم والروح في فلسفة ديكارت ،أو الخير و الشر أو النور والظلمة في المانوية ." [3]

يضيف الحلاّج أنّ الاثنينية في الإدراك ، الامتداد والفهم ، تقابلها اثنينية العالم في الواقع فهو منفصل إلى روحي وعالم مادي .

ويقصد بالامتداد أحد الأبعاد الثلاثة :وهي الطول والعرض والعمق و الارتفاع ،وهو عرض من أعراض الجسم فعند ديكارت ،الامتداد هو جوهر الأجسام كما أن الفكر هو جوهر النفس ،فلا مادة بدون إمتداد ولا إمتداد بدون مادة.[4]

وفي نزاع " الأنا " الحلاّجية إثبات الثنائية بين الطبيعية الإلهية أو اللاهوت ،وبين الطبيعة البشرية والناسوت ،وذلك حين يقرر قوله : "من ظنّ أنّ الإلهية تمتزج بالبشرية أو البشرية تمتزج بالإلهية فقد كفر ."[5]

والمغزى من هذه العبارة أنّ الحلاّج يتحدث هنا بلسان التوحيد ، ويشهد التفرقة بين الله والعبد، وذلك حين يقرر : إن الله تعالى تفرد بذاته وصفاته عن ذوات الخلق وصفاتهم .

---

[1] سورة البقرة ، الآية : 35 .

[2] خياطة نهاد ، الصوفية ،المرجع السابق ، ص :150 .

[3] صليبا جميل ،المعجم الفلسفي ، ج1 ، المرجع السابق ، ص :380 .

[4] ذكورة ابراهيم ، المعجم الفلسفي ، المرجع السابق ، ص :22 .

[5] الحلاّج ، أخبار الحلاّج أو مناجيات الحلاّج ، المصدر السابق ، ص :34 .

ومن عباراته الأخاذة في إثبات الواحدية : أنه سئل كيف الطريق إلى الله؟ قال : الطريق بين اثنين ،وليس مع الله أحد ،فقيل له : بيّن قال : من لم يقف على إشاراتنا لم ترشده عباراتنا ، ثم قال :

أأنت أم أنا هذا في الهيـــــن حاشاك حاشاك من إثبات اثنين

هويةً لك في لائيتي أبـــــدًا كلى على الكلّ تلبيس بوجهين

فأين ذاتك عني حيث كنت أرى فقد تبيّن ذاتي مني حيث لا أين

و أين وجهك؟ مقصود بناظرتي في باطن القلب أم في ناظر العين؟

بينّي وبينك إنّي يزاحمـــــني فإرفع بذاتك إنّي من البين . [1]

إذا فكلمة الطريق تعني من نقطة إلى نقطة أخرى (من–إلى) ،و الطريق إلى الله يفترض وجود اثنين ،وفي الأصل لا يوجد غير الله سبحانه.

"أأنت أم أنا ؟" : استفهام يعني : أأنا موجود أم أنت موجود ؟ ، يستذكر ذلك ، ويعد وجود أنوين (مثنى أنا) بمثابة وجود الهين ، ثم ينزّه الله تنزيها مؤكدا عن أن يقر الإثنينية.[2]

إذن الحلاّج مخاطّبا الله تعالى وفي خطابه هذا يثبت الواحد" أأنا أم أنت " بمعنى واحد من الأنا يكون في النهاية.

وفي البيت الثاني ثبوت هوّيتك التي لا أتحقق بها إلا في فنائي عنّي ، وما لم فإن بقائي يجعل مثل هذا التحقق ضربا من التلبيس.[3]

---

[1] الحلاّج ، أخبار الحلاّج أو مناجيات الحلاّج ، المصدر السابق ، ص: 84.

[2] الحصني عبد القادر ، شرح ديوان الحلاّج ، المرجع السابق ، ص :223 .

[3] المرجع نفسه ، ص :223 .

الهوية من "هو" هي عين الإنية المشار إليها بلفظة " أنا" فكانت الهوية معقولة في الإنية وأطلقوا الهوية على الغيب وهو ذات الحق و الآنية على الشهادة وهو معقول العبد .[1]

إذا الهوية من ضمير الغائب (هو) وتمثل الحقيقة المطلقة "هُويّة لك في لائيتي بمعنى فنائي ومن هذا الانسلاخ والاتحاد مع الله تتكون اللائية التي هي فناء ظاهري ووجود جوهري أما التلبيس : هو الاختلاط والاشتباه من التبس عليه الأمر ،وهو تجلي الشيء بضّده.[2]

أما البيت الثالث بمعنى لا أستطيع أن أرى ذاتك أينما كنتُ ، لأن مثل هذه الرؤية تقتضي ألا يكون لذاتي أينٌ (مكان) ، وفي البيت الرابع بمعنى ، وكيف أستطيع أن أرى وجهك؟ هل مكانه ، في قلبي أم في ما يقع عليه نظري؟[3]

ففي قوله "حيث لا أيني" ، بمعنى خفي أيني أي في حال الفناء أيضا .

وفي شرح البيت الأخير، أنه لا يوجد بيني وبينك يا إلهي؟ (إني) ، إنه أنا يعذبني فأتوسل إليك أن تنزيل "بإنّيك" أي بأنت هو "إني " ، أي إنه أنا تنزيه من (البينِ) أي من بيننا نحن الاثنين.[4]

بمعنى ما يحول بيني و بينك هو وجودي وعدم فنائي وبالتالي بقاء إنيتي ، والمعنى المقصود من كون رفع الإنّية ، أو إطلاق الإنسان من وجوده المقيّد إلى وجود الله الحقيقي المطلق ، لا تكون إلا لطفا من الله.

يحتمل قوله "فأرفع بلطفك أني من البين" أي : انتشل إنيتي من البعد وأرفعها إليك ، إلى حيث لا أين ولا بين فالإنيّة حجاب ، "ولا فكاك للإنسان من عقاله ولا تخلص له من

(1) الحلاّج ، ديوان الحلاّج ،تح : عيون السود محمد باسل ،المصدر السابق ، ص :161 .

(2) الطوسي ، اللمع في التصوف، المصدر السابق ، ص :449 .

(3) الحصني عبد القادر ، شرح ديوان الحلاّج ، المرجع السابق ، ص :223 .

(4) بدوي عبد الرحمن ، شخصيات قلقة في الإسلام ، المرجع السابق ، ص :84.

صورته إلا بالموت :و ما دام في تعينّه ، وما دامت له إنيّة تّميزه عن غيره فهو عاجز عن إدراك الحّق والوصول إليه ، ولهذا أجمع الصّوفيّة على ضرورة العمل لرفع ذلك الحجاب حجاب الإنيّة وجعلوا غاية طريقهم الفناء عن الصفات البشرية المشار إليها بالإنّية. [1]

بيني وبينك إنّي ينازعني فارفع بفضلك إني من البين

يقال إن هذا السالك قد كشف عنه الحجاب ،أي رفع عنه حجاب الدنيا ، وبدت التجليات، ويستخدم أيضا الحجاب بمعنى الحجب ،ويقع الإلتباس أي يرجع إلى نظره ومدركاته الحسية ،وفقد المنن الربانية.[2]

في قول الحلاّج "ما انفصلت البشرية عنه ولا اتصلت به[3]"، جاء في موقف "القرب" للنفري : "وقال لي :تجدني ولا تجدني– ذلك هو البعد ، تصفني ولا تدركني بصفتي – ذلك هو البعد ، تسمع خطابي لك من قلبك وهو مني – ذلك هو البعد ، تراك (ترى نفسك) وأنا أقرب إليك من رؤيتك (لنفسك) ذلك هو البعد .[4]

إذًا الحلاّج استطاع أن يصوغ المعادلة بين المفارقة والبطون ،وهما بين انفصال و اتصال ،وأن الصوفي يستشعر المفارقة أو التنزية الإلهي أو البعد أكثر من غيره ،وكما جاء في موقف القرب عند النفري أن : كل قرب في مقام الفرق فهو بعد ،ومادامت ثنائية الرب والعبد قائمة فلا قرب هناك مهما كان قريبا.

وفي تصور الحلاّج لفعل الخلق كما يوجزه الدكتور أحمد محمود صبحي بعبارته : "تجلى الحق لنفسه في الأزل قبل أن يخلق وجرى له في حصره أحديثه مع نفسه حديث لا

---

[1] الحصني عبد القادر، شرح ديوان الحلاّج ، المرجع السابق ، ص :223–224 .

[2] الشرقاوي حسن ، معجم ألفاظ الصوفية ، مؤسسة مختار ، القاهرة ، ط(1) ، 1978 ، ص :118،117.

[3] الحلاّج ، أخبار الحلاّج أو مناجيات الحلاّج ، المصدر السابق ، ص :21 .

[4] النّفري محمد عبد الجابر بن الحسن ، كتاب المواقف والمخاطبات ، تح : أربري أرثر يوحنا ،دار الكتب المصرية ، القاهرة ،د(ط) ،1934 ، ص :03 .

كلام فيه ولا حروف، وفي الأزل حيث كان الحق لا شيئ معه نظر إلى ذاته فأحبها وأثنى على نفسه فكان هذا تجليا لذاته في ذاته في صورة المحبة المنزهة عن كل وصف وكل حد ،وكانت هذه المحبة علة الوجود ،والسبب في الكثرة الوجودية، ثم شاء الحق سبحانه ،أن يرى ذلك الحب الذاتي مائلا في صورة خارجية يشاهدها ويخاطبها فنظر في الأزل وأخرج من العدم صورة من نفسه لها كل صفاته وأسمائه ، وهي آدم الذي جعله الله صورته أبد الدهر ،فكان آدم من حيث ظهور الحق بصورته هو هو. "[1]

جاء في خطاب الله عز وجل للملائكة : ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[2] ، وأقل تأثيرا من قوله تعالى للملائكة وهو يأمرهم بالسجود لآدم قائلا : فإذا سويته (آدم)ونفخة فيه من روحي فقعدوا(أيها الملائكة) له (لآدم) ساجدين.[3]

فلماذا يحب الفنان مبدعاته ،أليس لأنها ذاته ،وقد وجدت له موقعا في العالم الخارجي وبالتالي فمبدعاته هي هو ، وما هي هو في نفس الوقت .

فالصورة ليست هي الأصل وتجليات الذات ليست هي الذات ، وإنما الصورة انعكاس فعل التجلي ،أثر الحق حق ،أي هي أثر التجلي ، ولما قال الحلاّج قولته المشهورة التي قامت من أجلها الدنيا ولم تقعد "أنا الحق" لم يكن يعني غير هذا.[4]

" إن لم تعرفوه (الله) فاعرفوا آثاره ، وأنا ذلك الأثر ، وأنا الحق لأنني ما زلت أبدًا بالحق حقا ، وان قتلت أو صلبت أو قطعت يداي ، ما رجعت عن دعواي! "[5]

أي أنه حق بمقدار ما هو أثر من آثار تجليات الله ،وهو حق بمقدار ما هو موجود بالله ،وهو حق بمقدار ما هو غير مستقل عن الله ،وكل خلق حق بهذا المعنى !.

---

(1) صبحي أحمد محمود ، التصوف إيجابيات وسلبياته ، عالم الفكر ، م6 ، العدد :2 ، 1975 ،ص :48.

(2) سورة البقرة ، الآية :30 .

(3) خيّاطة نهاد ، دراسة في التجربة الصوفية ،المرجع السابق ، ص :144 .

(4) المرجع نفسه ، ص :144 .

(5) الحلاّج ، أخبار الحلاّج ،تح :عيون السود محمد باسل، دار الكتب العلمية،بيروت ،ط(2)،2002، ص :42 .

المبحث الثالث: فكرة الحلول

في مقدمة شرح فصوص الحكم لإبن عربي, يقول الدكتور عفيفي : يجب ألا نغفل عن الفرق الكبير بين الحلاّج و إبن عربي, فالأول حلولي يرى أن الله قد يحل في الإنسان فتظهر بذلك كمالاته و أسرار ألوهيته,أما الثاني فإتحادي يرى أن الإنسان هو المظهر الكامل الدائم لله ، و أنه لا فرق بين ناسوت و لاهوت إلا بإعتبار.[1]

مفهوم اللاهوت و الناسوت عند إبن عربي نجده في الفص الخامس عشر، فص حكمة نبوية في كلمة عيسوية, كما أن إبن عربي أخذ هذه الفكرة الحلاّجية و على هذا الأساس بنى نظريته في الإنسان و منزلته من الحق و الخلق. إلا أن هناك فرق بين الإتحاد و الحلول.

الحلول فهو أن الله قد حل في الإنسان و في غيره من أجزاء هذا العالم[2], و أما الفرق بين الإتحاد و الحلول, فإن الإتحاد كإتحاد الماء باللبن و أما الحلول فكحلول الماء في الإناء, و الحلول يعني وجود الشيئ داخل شيئ أخر دون أن يفقد أحدهما طبيعته أو هويته أو ذاتيته فتحل الذات الإلهية في الذات الإنسانية, عكس الإتحاد فقد يفقد الشيئ الممتزج ذاته أو بعض صفاته و خصائصه[3].

إذا الإتحاد يعني أن الإنسان يتحد بالله, و الحلول أن الله حل في البحار و الجبال...

مُزجت روحكَ في روحي كما تُمزج الخَمرة بالماء الزُلالا

فإذا مسّكَ شيئٌ مسَّـــني فإذا أنتَ أنا في كلّ حـــال[4].

---

(1) إبن عربي, فصوص الحكم, تح: عفيفي أبو العلا, ج1, دار الكتاب العربي, بيروت, د (ط), د(ت),ص: 189-190.

(2) مغنيّة مّحمد جواد, معالم الفلسفة الإسلاميّة نظرات في التصوف و الكرامات, مكتبة الهلال, بيروت, ط (3), 1982. ص: 233.

(3) الشوبكي محمود يوسف, مفهوم التصوف و أنواعه في الميزان الشرعي, مجلة الجامعة الإسلامية, العدد: 2, كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية بغزة, 2002, ص: 40,

(4) الحلاّج, ديوان الحلاّج, تح: عيون السود محمد باسل, المصدر السابق ، ص :152 .

يقرر الدكتور عفيفي في كتاب نصوص الحكم لإبن عربي ، أن اللاهوت و الناسوت في نظر الحلاّج, طبيعيتان لاتتحدان أبدًا ، بل تمتزج إحداهما بالأخرى كما تمتزج الخمر بالماء[1].

إذن اللاهوت و الناسوت ممتزجان في قوله "مزجت روحك في روحي..." ، و هذا عكس المسيحية فهما متحدان, في قوله من الخفيف:

أنت بين الشِغاف و القلب تجْرى مثل جري الدمْع من أجفاني

و تَحل الضمير جوف فـؤادي كحلول الأرواح في الأبْدان[2].

و لهذه العبارات التي تفوه بها العاشق المولع في حال نشوته ، شهد عليه معاصرو بالكفر و أخرجوه من زمرة المسلمين, رغم ما عرف منه من زهده الشديد و التزامه بالعبادات[3].

إذن فقد أتهم الحلاّج بالقول بالحلول, حلول الله في الإنسان حين لفظ ببعض الكلمات و هو في حال الوله الغالب المستولي على شعوره.

رَأَيتُ رَبّي بِعَينِ قَلبي فَقُلتُ من أَنتَ ؟قال :أنت
فَلَيسَ لِلأَينِ مِنكَ أَينٌ و لـيس أين بحيث أنت؟
وَلَيسَ لِلوَهمِ فيكَ وَهمٌ فَيَعلَمُ الوَهمُ أين أَنت؟
أنت الذي حزت كل أين بنحو لا أين. فأين أنت؟
وَفي فَنائي فَنا فَنائي وَفي فَنائي وَجَدتَ أَنت[4]

---

[1] إبن عربي, فصوص الحكم, المصدر السابق, ص: 35.

[2] الحلاّج, الأعمال الكاملة: الديوان: المصدر السابق, ص: 324

[3] زيدان يوسف, عبد الكريم الجيلي: فيلسوف الصوفية, الهيئة المصرية العامة, القاهرة, د (ط), 1988, ص: 77.

[4] الحصني عبد القادر ، شرح ديوان الحلاّج ، المرجع السابق, ص: 75.

"رأيت ربي بعين قلبي" ، فالرؤية قلبية ، بالتصريح مبنية على الضمير "أنت ،" نجد في قوله تعالى: ﴿ **مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ**﴾" [1]

"فقلت: من أنت؟ قال: أنت" يذهب الوهم في هذا القول إلى أن الشيخ أراد أن يقول: (أنا أنت), أو (أنت أنا), و سبب هذا التوهم نصوص أخرى له, حملت مثل هذا التعبير كقوله: " أنا من أهوى و من أهوى أنا".و المعنى هنا "تنزيهيّ" خالص: قلتُ ، من أنت؟ فقال أنا هذه الـ(أنت) التي تسأل عنها فمؤدي المعنى هو (أنت أنت), و ليس (أنا أنت).[2]

إذًا كان المعنى السطحي من "أنا أنت" أو "أنت أنا" أنه و الله شيئ واحد, و في هذا الشرح يتضّح أنهم يفرقون بين مقام العبودية و مقام الربوبية.

و قوله أيضا:

نَحنُ مُذ كُنّا عَلى عَهدِ الهَوى تُضرَبُ الأَمثالُ لِلناسِ بِنا

فإذا أبصرتني أبصّرتـــــــه وإذا أبـــصرته أبصرتنـــا

أيـــها السائل عن قصّتنـــا لـــو ترانا لم تفّرق بيننـــا

روحه روحي و روحي روحه من رأى روحين حلت بدنا؟ [3]

فمحبّة العبد لله تعظيم يحل الأسرار, فلا يستجيز تعظيم سواه, و المحبة الله للعبد, هو أن يبليه به فلا يصلح لغيره. لقوله تعالى: ﴿ **وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي** ﴾[4], و أيضا المحبة هي التي تعمي و تصم, تعمي عما سوى المحبوب فلا يشهد سواه مطلوبًا.[5]

---

(1) سورة النجم, الآية: 11.

(2) الحصني عبد القادر, المرجع السابق, ص: 75.

(3) الحلاّج, الأعمال الكاملة: الديوان, المصدر السابق, ص: 330

(4) سورة طه, الآية: 43.

(5)الكلاباذي أبو بكر محمد بن إسحاق البخاري, كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف, تح: أربري أرثرجوي, مكتبة الخائجي, القاهرة, ط (2), 1994, ص: 79.

إذن المحبة إيثار ما تحب لمن تحبّ ، و المحبة هي الموافقة, أي الطاعة له فيما أمر.

من دون التقيد في الكلمات الإصطلاحية, و القول بأن هذين البيتين يعبران عن الناتج التركيبي بين المتمثل في ثبوت الألوهية في الإنسان و ثبوت الإنسان في الألوهة والبيت الثاني مؤاده أنك إذا نفذت ببصرك أو بصيرتك إلى ما وراء حجاب الناسوت (الظاهر) و أبصرت حقيقتي اللاهوتية (الباطن) ، فتكون قد أبصرت الحق تعالى, مظهران لحقيقة واحدة.[1]

أي بمعنى القول أن المحب هو الله و المحبوب هو الإنسان, و في البيت الثاني بمعنى إن نظرت إليه من الخارج قلت ناسوت, و إن نظرت إليه من الداخل قلت لاهوت.

" روحين حلّت بدنا؟" قد يعني الحلول لمن يفصل فصّلا حادّا أو مطلقا بين الروح والمادة, ينتفي القول بالحلول حين نعلم أن المادة روح كثيفة و الروح مادة لطيفة, و أن العلاقة بين المبدأ و تجلياته هي علاقة الكل بأجزائه و أن الجزء غير منفصل عن الكل وأن الجزء يتبع الكل و منه الإسلام.[2]

إذًا إنعكاس هذه التجليات, ناسوت الحق و ناسوت الحق حق, قال الحلاّج: أنا الحق ! ومنه:

خصّني واحدي بتوحيدِ صدقٍ ما إليهِ من المسالكِ طرقُ
فأنا الحق حق للحقِ حقٌ لابسٌ ذاتهُ فما ثمّ فرقُ
قد تجلت طوالعٌ زاهراتٌ يتشعشعنَ و اللوامعُ برقُ .[3]

أي فأنا الحق الحلاّجية التي قامت عليها الدنيا و لم تقعد و كانت بها نهاية الحلاّج المأساوية فهناك من يرى أنها مطلقة من كل وجه و هناك من يرى أنها نسبيّة .

---

(1) خياطة نهاد, دراسة في التجربة الصوفية, المرجع السابق, ص: 114.113.

(2) المرجع نفسه, ص: 114

(3) الحلاّج, الأعمال الكاملة: الديوان, المصدر السابق, ص: 317.

جاء على لسان الحلاّج قول العز بن عبد السلام : " يا قوم لما أخذني مني ، وسلبني عني، تلاشت أوصاف حدثي لما ظهر سلطان قدمه, فكان الحدث كأن لم يكن, و بقي القدم كأن لم يزل, ثم فنيت أنانيتي في أنانيته, و ذهبت هويتي في هويته, و تلاشت ناسوتيني في لاهوتيه, ثم نظرة منه إليه فلم أرى إلا هو ، و سمعت منه به, فلم أسمع إلا هو و نطقت به فلم أذكر إلا هو فقلت: أنا هو, و لئن قلت " أنا الحق" فما عدت عن الحق, لأني أنا الحق في محبته, و هو الحق في مملكته....."[1]

إذا كان هذا في الشعر أقرب إلى النثر, جاء بمفهوم " أنا الحق" الحلاّجية و يقصد الشيخ العز أنه الحق موجود في كل شيئ, لذلك قال ما قاله الحلاّج.

هذه العبارة هي أشهر عبارة في الصوفية ظهرت في أحد أبواب كتاب الحلاّج (الطواسين) و أثيرت حولها مشاكل ، يناقش الحلاّج بقوله " أنا الحق" مقارنة مع إدعاء فرعون و إدعاء الشيطان.[2]

فهي تعكس المفهوم و التصور للمصطلحات المسيحية, لكن نظريات الحلاّج أعقد من ذلك بحيث يصبح من غير المجدي إرجاعها إلى مصدر ما.

جاء في البيت الثالث " و الطوالع..." أنوار التوحيد تطلع على قلوب أهل المعرفة بتشعشعها فيطمئن في القلوب من الأنوار بسلطان نورها كالشمس الطالعة.[3]

صعوبة فهم الشطحات أدت إلى اختلاف الآراء ، فالمشركين يعبدون غير الله ويقولون هذا تقربا إلى الله فكيف بالأولياء إذا .

---

[1] إبن عبد السلام العز, حل الرموز و مفاتيح الكنوز, تح: الشاذلي أحمد علي, جريدة الإسلام, مصر, د (ط), 1899, ص: 72.

[2] شيمل آناماري, الأبعاد الصوفية في الإسلام و تاريخ التصّوف, تر: السيد محمد إسماعيل و قطب رضا حامد, منشورات الجمل, بغداد, ط (1), 2006,ص:78.

[3] الحلاّج, شرح ديوان الحلاّج: المصدر السابق, ص: 311.

الفصل الثالث :المسيح في تأمل الحلاّج

المبحث الأول : رمز الصّليب في كتابات الحلاّج

المبحث الثاني :مأساة الحلاّج وفلسفة الموت

المبحث الثالث : رؤية تجاوزية نقدية لفكرة المسيح عند الحلاّج

المبحث الأول :رمز الصليب في كتابات الحلاج

خلق الله تعالى الإنسان مفطورًا على التوحيد و الإسلام ، وهو مولود على صلة الإسلام وإنما يقع له الإنحراف بعامل خارجي يقول الله تعالى :﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (30)**﴾.[1]

ويقول ﷺ في الحديث الصحيح :۞ ما من مولود إلا يولد على هذه الملة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .۞[2]

أي التوحيد والإسلام هو دين البشرية الأصلي ،والانحراف حيث يربيه والده أو مجتمعه فيجعلانه يهوديا أو نصّرانيًا ، أو مجوسيّا .

القرآن الكريم و الأحاديث النبوية الشريفة ، تمثل الموروث الثقافي والفكري الإسلامي رؤية كونية إنسانية شاملة ، وأول من جرد الرمز الإسلامي هم الشعراء الصوفيون (الصوفي) ،أعادوا تشفير اللغة في قصائدهم الصوفية.[3]

فالصوفي أزاح الدلالة الأولى الحسية والدنيوية ، لألفاظ كالحب ، والعشق ووضعوها في أنساق غير أنساقها المعلومة إلى رموز لها دلالتها الوجدانية والدينية كلّ حسب رؤية الروحية.

---

[1] سورة الروم ، الآية : 30 .

[2] رواه البخاري ، باب الم غُلبت الرومُ ، 4775 .

[3] عميش عبد القادر ، اشتغال الرمز ضمن إسلامية النص ،مجلة حوليات التراث ، العدد : 02 ، جامعة مستغانم ، 2004 ، ص :9-10 .

ومن الرموز في سيرة الحلاج أنها اختتمت بالحلم كما بدأت بالحلم ، لقد بدأت الحكاية بامرأة حامل ،والحمل إشارة ضمنية إلى وجود الأب ،وعدم ذكر الأب صراحة ربما يعود إلى رغبة في محاكاة سيرة المسيح إلى درجة القول أن الحلاج لم يصلب وإنما شبيهة.[1]

ورد في لسان العرب " رمز الرموز تصويت خفي باللسان كالهمس ، وقيل الرمز إشارة وإيماء ..." [2]

إذًا الصوفية لغتهم لغة رمزية خاصة الحلاج من خلال كتابه الطواسين فكانت العلاقة بين الرمز والفكرة هي علاقة سببية ، فالرموز لا تحيل إلى الأشياء إلا بواسطة الأفكار.

رمز المسيح في الإنجيل ، خصوصا في الصليب والفداء و الحياة من خلال الموت ولعل المسيح عليه السلام أكثر الرموز الدينية شبها عند الشعراء المتصوفة.[3]

أي كثيرا ما أخذت من الرمز للدلالة على وجوهر معين بذاته ، كما هو الصليب رمز وإشارة لمعاناة المسيح عليه السلام ،و مجرد رؤية الصليب تدرك دلالته .

فالرمز يستخدم للدلالة البليغة السرية على أشياء أكثر عمقا ، وتطلب عملية شرح طويلة ، فهناك رمز واضح ومقصود ، متعارف عليه ، ورمز يحتمل التأويل .[4]

يقول الحلاّج من الوافر :

---

[1] الحلاج ، السيرة الشعبية للحلاج ، تح : السح رضوان ، دار صادر ، بي روت ، ط(1) ، 1998 ، ص :90 .

[2] ابن منظور جمال الدين ، لسان العرب ، ج5 ، تح : عامر أحمد ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط(1) ، 2002 ، ص :417 .

[3] بوقاسة فطيمة ، جميلة بوحيدر الرمز الثوري في الشعر العربي المعاصر ، مذكرة ماجستير ، إشراف :وغليسي يوسف ، جامعة منتوري- قسنطينة ، 2006 ، ص :57-92 .

[4] السكري رهفه ، رمزية الإنسان عند ابن عربي ، مجلة جامعة البعث ، العدد :55 ، جامعة دمشق ، 2017 ، ص :90.

ألا أبلغ أحبائي بأنـــــــــــي ركبتُ البحر وانكسر السفينه

على دين الصليب يكون موتي ولا البطحا أريد ولا المدينة.[1]

حاول بعض المتصوفة تأويل هذا البيت : " على دين الصليب يكون موتي " ، فلم يجدوا لذلك معنى سوى طلبه الموت وكأنه يقول أنني غيرت ديني فاقتلوني إلاّ الشعراني يقول مؤولا :

" أما الحلاّج فلم يثبت عنه ما يوجب القتل ،وما نقل عنه يصح تأويله نحو قوله " على دين الصليب يكون موتي " ومراده أنه يموت على دين نفسه ، فانه هو الصليب ،وكأنه يقول : أنا أموت على دين الإسلام وأشار إلى أنه يموت مصلوبا. "[2]

يقول الحلاّج ،أن الأديان كلها لله عز وجل ،واعلم أن اليهودّية والنصرانيّة والإسلام وغير ذلك من الأديان هي ألقاب مختلفة ،و المقصود منها لا يتغير ولا يختلف ف :

تفكرتُ في الأديانِ جدًا محقق فَألفيتُها أصلا له شُعب جما

فلا تطلبن للمرءِ ديـنا فانه يصدُ عن الأصل الوثيق وإنما

يُطالبه أصـل يُعبّر عنده جميع المعالي والمعاني فَيفَهما[3]

والمراد بالبيتين ،فوق ما ذكر ، أنّ موت الحلاج يكون على نسق نهاية المسيح بالصلب قربة إلى الله وضربا بالمثل للبشرية وتثبيتا للعقيدة ، أما قوله : (ولا البطحا أريد ولا المدينة) ، "فيمكن تأويله بسهولة.[4]

---

(1) الحلاج ، الأعمال الكاملة :الديوان ، المصدر السابق ، ص :334 .

(2) الشعراني عبد الوهاب ، لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق ، تح :عناية أحمد عزّو ، دار التقوّى ، سوريا ، ط(1) ، 2004 ، ص : 565 .

(3) الحلاج ، أخبار الحلاج أو مناجيات الحلاج ، المصدر السابق ، ص :74.

(4) الحلاج ، شرح ديوان الحلاج ، المصدر السابق ، ص :375-376 .

إذَا هذا ما جاء في شرح الشيبّي على أنّ الصليب هو وسيلته الوحيدة للتخلص من ذل الحجاب والفناء في محبوبة ، أما قوله (البطحا) فكان مقصود بها ، مكة والمدينة ، فهي مدينة يثرب على حد قول الصوفية . يقول أيضا من الطويل :

سكرتُ من المعنّى الذي هو طيبُ ولكن سُكري بالمحبّة أعْجب

وما كل سكرانٍ يحدّ بواجـــــب ففي الحب سكران ولا يتأدّب

تقوم السُّكارى عن ثَمانين جـلدةً صُحاة وسَكران المحبّة يُصلب[1]

إذا رمز الصليب في كتابات الحلاج أي في ما قولاته كثيرة وتدل على شيئ واحد وهو فصل الجسد عن الروح أي الموت والفداء ، فـ :

قوله : " كيف أنت يا إبراهيم حيث تراني وقد صُلبت وقتلت وحرقت ،وذلك أسعد يوم..." وأيضا ذكر أحمد بن فاتك أنه كان يوم النيروز وكانت البلدة تحتفل ببداية العام ،فإذا به يتأوه بعد أن يعلم أنه يوم النيروز ليقول : " متى نيروز؟ متى أصلب ؟" [2]

ومنه الرمز أداة تميّز وتفرد ، وطريقة لتعميق المعنى ، واستعمال الرمز له أسباب لدى الصوفية وله علاقة مع الأسطورة ، فالحلاّج وسيرته طغت عليها الأسطورة حتى أنه لقب بمسيح المتصوفة ،وذلك لربط أحداثه بأحداث المسيح عليه السلام .

حتى تزداد المقارنة بين الأسطورتين ، يوضح الحلاّج بجانب المسيح ، من حيث اختلاف الناس فيهما ، وظن بعض الباحثين أن أساس هذه المقارنة اختلقها المستشرقون.[3]

و بالجملة فان الناس اختلفوا فيه (الحلاّج) إختلافهم في المسيح عليه السلام فمن قائل :انه حل فيه جزء الهي ويدعي فيه الربوبية ومن قائل : أنه ولي الله وأن الذي يظهر

---

(1) الحلاّج ، ديوان الحلاّج ،تح :عيون السود محمد باسل ، المصدر السابق ، ص :171 .

(2) الحلاّج أخبار الحلاّج أو مناجيات الحلاج ، المصدر السابق ، ص :48 .

(3) خرطبيل سامي ، أسطورة الحلاّج ، دار ابن خلدون ، بيروت ، ط(1) ، 1979 ، ص :156 .

منه جملة كرامات الصالحين ، ومن قائل :أنه مشعّبذ وممخرق وساحر كذاب ومتكهن والجن تطيعه فتأتيه بالفاكهة من غير أوانها .[1]

ابن الأثير يذكر أن الحلاج اعتقدوا فيه الحلول واختلفوا فيه الكثير ، وذلك في تأويل لغته المملوءة بالإيحاءات والرموز ، وفي ديانته ، حتى في كرامته ، إن كانت كرامة أم من صنع الجنّ.

فمهما كان تبرير الحلاّج لنفسه و لغيره على أنه على منهج الكتاب إلا أن قوله الآخر كان يثبت عكس ذلك ، و هذا الاختلاف أدى بالحلاّج غلى طريق الهلاك من قبل رجال الدين و من قبل السّاسة، حتى قيل له انك أحدثت في الإسلام ثغرة لا يسدها إلا رأسك.

[1] ابن الأثير عزّ الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد ، الكامل في التاريخ ، م7 ، تح :الدقاف محمد يوسف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط(1) ، 1987 ، ص :4 .

المبحث الثاني : مأساة الحلاّج وفلسفة الموت

المعروف عن الحلاّج هو رحلته المعرفية الطويلة في العديد من البلدان ، وكانت بغداد أخر مستقر للحلاّج وهو نحو ست وأربعين سنة ، ثم ما لبث أن أغادر إلى مكة حاجا للمرة الثالثة ، ولمّا قضّى حجّة عاد إلى بغداد.

فكثيرا ما كان يّلقي أقولا في أسواق بغداد ومساجدها تدل على فرط وجده وصفاء توجهاته وصدق مجاهدته ، يقول الحلاّج وهو يصيح في سوق بغداد [1]

يا أهل الإسلام أغيثوني فليس يتركني ونفسي فآنس بها ، وليس يأخذني من نفسي فأستريح منها وهذا دلال لا أطيقه :[2]

حويت بكُّلي كل كُلك يا قدسي تكاشفتي حتى كأنك في نفسي

أقلّب قلبي في سواك فلا أرى سوى وحشيتي منه وأنت به أنسي

فها أنا في حبس الحياة ممنّع عن الأنس قبضني إليك من الحبس [3]

ومنه كلما زاد الوجد والعشق والاشتياق إلى المحبوب عند الحلاّج زادت معه الشطحات والحلاّج هنا مستغرق في شطحاته ولا يعرف الخروج منها ، وهذا الشوق الدائم أدى به بصيحة " أغيثوني !" ، وهو يتوق إلى لحظة الاتصال بالمطلق وأنّ هذا لا يكون إلا بالّموت .

ودخل يوما جامع المنصور ببغداد وقال :يا أيها الناس اجتمعوا واستمعوا منّي حديثا " فاجتمع عليه خلق كثير ، فمنهم محب ومنهم منكر ، فقال :" اعلموا أن الله تعالى أباح لكم

---

(1) مكارم سامي ، الحلاج في ما وراء المعنى والخط واللون ، رياض الريس ، بيروت ، د(ط) ، 1989 ، ص :43 .

(2) الحلاّج أخبار الحلاج ، المصدر السابق ، ص :48 .

(3) الحلاّج الأعمال الكاملة :الديوان ، المصدر السابق ، ص :310 .

دمي فاقتلوني " ، فبكى القوم فتقدّم إليه عبد الودود بن سعيد الزاهد وقال : " يا شيخ كيف نقتل رجلا يصلي ويصوم و يقرأ القرآن ؟ " فقال : " يا شيخ المعنى الذي به تُحقن الدماء خارج عن الصلاة و الصيام وقراءة القرآن ، فاقتلوني تؤجروا وتستريحوا فتكونوا أنتم مجاهدون وأنا شهيد ". [1]

أي الحلاّج يطالب الناس بقتله لأنه لم يستطيع البقاء بعيدا عن الله ، ولأنه يشعر بضرورة موته مقتولا .

وكما جاء على لسان عبد الودود بن سعيد الزاهد والذي هو " من رواة الكلام الحلاّج في كتاب (أخبار الحلاّج) ، وهو من كبار الرجال" .[2] كما جاء في نص أخر معبر عن قصده قائلا بعد أن حرض الناس على قتله في السوق :

" أن تقتل هذه الملعونة " وأثار إلى نفسه !"[3]

وكل هذا يوضح بصورة مؤلمة حالة الحلاّج الوجدانية ، حالة إنسان يطلب الموت ،إلى حين أصبح الحلاّج يُلاحق ويُضطهد ويُسجن .

بعد ما كان الحلاّج في دار الخلافة ، عالي المكانة ، مسموع الصوت معتنقين منهجه ، وامتلأ قصر الخليفة بالحديث عن كرامته وأسرف الناس وأضافوا في الحديث ، وجعلوا منه أكبر من ولّي في أفق بغداد ، حدث التآمر على الحلاّج من قبل خصومه يمدون حبالهم إلى خارج القصر بعدما همسوا في أذن الخليفة ، ليشركوا معهم الخصوم التاريخين للحلاّج.[4]

---

[1] الحلاّج، أخبار الحلاج أو مناجيات الحلاج ، المصدر السابق ، ص :79 .

[2] بناني أبي بكر، الفتوحات القدسية في شرح قصيدة في حال السلوك عند الصوفية : القصيدة النفسية ، تح : الحداوي عبد الرحمان والمساوي إسماعيل بن عبد الرحمان ، كتاب ناشرون ، بيروت ، ط(1) ، 2010 ، ص :33 .

[3] الحلاّج ، المصدر السابق ، ص :86 .

[4] سورور طه عبد الباقي ، الحسن بن منصور الحلاّج ، المرجع السابق ، ص :80 -81.

أي الاختلاف الإيماني الحلاّجي والطبقة الأستقراطية الحاكمة ، المنتفعون والمرتشون رأت هذه الحاشية أن مكانتهم قد تزلزلت ، ومن هنا إبتدأ التفكير في التخلص من الحلاّج بسلاحه وهو الدينّ .

أتهم الحلاج بالإلحاد ، الحلول والاتحاد ، وينسبون إليه ما لم يقبل ، كما ابتدءوا يجمعون الشهود الزور ، الذين سيقوِلونَ على الحلاّج يوم محاكمته. [1]

فالحلاج كان له أنصار كثر من الوزراء الحلاجين ومن خارجها ، هذا مازاد غضب الوزير حامد بن العباسي خصم الحلاج الأكبر والاتصال بأكبر أعضاء محكمة القضاء الكبرى محمد بن داود وهذا الأخير كان يُبغض الحلاّج .

حضر الحلاج المحاكمة في دار القضاء العالي ،وواجه الشهود[2]. يقول المؤرّخ ابن كثير ، مؤرّخ و مفسّر ومحدثّ عربي من أشهر آثاره (البداية والنهاية)[3] : "وأنكر الحلاّج ما يُنسب إليه ، وقال : أعوذ بالله أن أدعي الربوبية ، أو النبوة ، وإنما أنا رجل أعبد الله وأكثر له الصوم والصلاة وفعل الخير ،ولا أعرف غير ذلك ، وجعل لا يزيد عن الشهادتين والتوحيد ،ويكثر أن يقول :سبحانك لا اله إلا أنت ،عملتُ سوءَا وظلمت نفسي ، فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. " [4]

انتقل الحلاّج من سجن إلى سجن وفي الأخير سجن بدار السلطان ، لكن خلال محاكمته الأولى برأ الحلاج نفسه أمام قضاء المحكمة وهناك القاضي إبن سريج مثلما جاء قوله في مسرحية مأساة الحلاّج لصلاح عبد الصبور :

---

[1] سرور طه عبد الباقي، المرجع نفسه ، ص :84 .

[2] المرجع نفسه ، ص :87 .

[3] البعلبكي منير ، معجم أعلام المورد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط(1) ، 1992 ، ص :35 .

[4] بن كثير القرشّي الدمشّقي عماد الدّين أبي الفداء إسماعيل ، البداية والنهّاية ، ج :14 ، تح : بن عبد الحسن التركي عبد الله ، دار الهجر ، القاهرة ، ط(1) ، 1998 ، ص :834 .

" أنه بعدما تحدث الحلاّج عن إيمائه ، قال ابن سريج هذا يكفي لنثبت إيمانه وإلا أنا أستعفى من مجلسكم. "[1] كما أنه قال لما سئل عن رأيه بالحلاّج أما أنا ، أراه حافظا للقرآن عالما به ماهرا في الفقه عالما بالحديث والأخبار والسنن صائما الدهر قائما الليل يعظ ويبكي ويتكلم بكلام لا أفهمه فلا أنكم بكفره.[2]

إذًا وبهذا الاعتراض فشلت المحاكمة الأولى ،وضاعت المؤامرة ،إلا أن الوزير حامد أصدر أمرا بتشكيل هيئة قضاء أخرى ف :

أُعيد الاتهام وجاءوا بالحلاّج برياسة القاضي أبي عمر محمد بن يوسف ،وعضوية القاضية أبو جعفر بن البهلول وجماعة من الفقهاء وتوالى الإتهام : هل أنت إله؟ ! هل تحيي الموتى؟ هل تخدمك الجنّ؟ ! هل تصنع ما تحب عن طريق المعجزات ، كما يقول الشهود ، وأنكر الحلاّج ما نسب إليه بشّدة.[3]

بقي الحلاّج هكذا سنين طويلة حوالي ثمانية أعوام كاملة بين حرية وإقامة ، وكان سجنه وإقامته في بيت صديقه و تلميذه نصر القشوري حاجب خليفة ، وفي هذه المرحلة :

مرحلة أخذ الحلاّج يضع فيها أخلد كتبه وأبقاها ،وفي طليعتها كتاب (طاسين الأزل) الذي أنقذه من الفناء الذي صبته الخلافة العباسية على تراثه ، صديقه الوفي ابن عطاء في اللحظات الأخيرة ، اتسعت حياة الحلاّج رغم سجنه و تحديد إقامته ، يذهب نهارا إلى جامع المنصورة ، يلقي دروسه يشرح منهجه ، يعلم أسرار الحب ، ومنازل القرب ، إلى أن أُعدّ للقضية شهودها ، كما صنعت وثيقة الاتهام فيها ، وكانت كما يلي :[4]

1-مراسلاته السرية مع القرامطة

---

(1) عبد الصبور صلاح ، مأساة الحلاّج ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر، د(ط) ، 1996 ، ص :117 .

(2) الحلاّج ، أخبار الحلاّج أو مناجيات الحلاّج ، المصدر السابق ، ص :110-111 .

(3) سرور طه عبد الباقي ، الحسين بن منصور الحلاّج ، المرجع السابق ، ص : 87 .

(4) المرجع نفسه ، ص :89-93 .

2- اعتقاد أتباعه بألوهيته

3-قوله : أنا الحق ...

أي قبل هذه الوثيقة كان الحلاّج في السجن وتحت حراسته نصر القشوري ، وكان الحلاّج مستغرق في شطحاته ، يقول من الرمل :

أُقْتُلُوني يا ثِقاتـي إنّ في قَتْلي حياتــي

و مماتي في حَياتي و حَياتي في مماتي

أنّ عندي محْو ذاتي من أجّل المكرماتِ

و بقائي في صفاتي من قبيح السّيّئات

سَئِمَتْ روحي حياتي في الرسوم الباليات

فاقتلوني واحرقوني بعظامي الفانيات

ثم مرّوا برفاتـي في القبور الدارسات

تجدوا سرّ حبيبي في طوايا الباقيات.[1]

يدعو الحلاّج من هم موضع ثقته من الناس على أن يقتلوه ، لأنّه يرى نفسه ميتا في الحياة التي يعيشها ، أما موته فهو سيمنحه الحياة الحّق التي يريد ، وينهل هذا الموقف في فلسفة الحلاج من متشْربين :

أولهما في نظريتة في التضحية ، وإتخاذه المسيح عليه السلام مثلا أعلى ،في إطار فهمه للولاية ، كما يرى الحلاج في موته مكرُمة وتخلُّصا مما هو قبيح فيه : أما المكْرمة ففي

[1] الحلاّج الأعمال الكاملة :الديوان ، المصدر السابق ، ص :294 .

إمحّاء ذاته ، وأما التخلص من القبيح فهو التخلص من بقائه في صفاته ، فإذا تّم ذلك له أي الموت ، فلا يتقى إلا سرّ حبيبه مطوّيا ، بعد غياب مظهر ناسوته الذي كان مظهرًا وحجابًا في الوقت ذاته .[1]

ومنه فالحلاّج لا يفرق بين الحياة والموت على وفق الفهم المعروف عند العامة وإنما الموت بحرية في مقابل السجن الذي هو نموذج الحياة ، و بما أن الله هو خالق الحياة والموت ، فسعى الحلاّج إلا ملامسة الوحدة الجوهرية للحياة والموت ، والحياة بالنسبة له سجن حقيقي يتوسل إلى الله أن يخرجه منه .

للناس حجّ ولي حجّ إلى سكني تُهْدَى الأضاحي وأُهْدِي مُهْجَتِي وَدَمِي

تطوف بالبيت قومٌ لا بجارحةٍ باللهِ طافوا فأغناهم عن الحَرَمِ[2]

أي لا ينبغي فهم التضحية الروحية بمعنى أن الجسد لا يشارك فيها ، وعليه ربما كان أكثر دقة فهم كلمات الحلاّج : (أهدي محبتي ودمي) ، الحياة تضحية إذن مثل الموت تماما، والموت ليس إلا التضحية الأخيرة قبل أن تبعث الأجساد ، وليس هنالك من معنى للتضحية إذا لم تكن اعترافا حقيقيا ب، (الكرامة) ، أي كلما كان المانح مقدسا كانت الكرامة كذلك ، يتم التعامل معها بأمانة حقيقية ، لا تستخدم خارج أمانة المانح ، إذ هي آصرة تحقق اتحادا روحيا في تجارة شفافة مع الله .[3]

إذن هذا ما يتيح فهم منظور التضحية لدى الحلاّج ، على أن الصوفي وجد نفسه يتلقي حياته وموته ، ككرامة توفر له اتحاده وأن هذا الاستخدام مقدس ، ولا جدال أن صوت رابعة العدوية : ولا أريد الكعبة وإنما رب الكعبة كان يدوّي في مسمع الحلاّج ليكون العامل

---

(1) الحصني عبد القادر ، شرح ديوان الحلاج ، المصدر السابق ، ص :294 .

(2) الحلاّج ، ديوان الحلاج ،تح :عيون السود محمد باسل ، المصدر السابق ، ص :186 .

(3) الحلاّج ، سيرة حياة الحلاّج ، المصدر السابق ، ص :294 .

الجوهري الذي أزال كل معنى لصورة العوام للكعبة في نفسه ، فهب يرفع الظاهر عن معنى الحج ويجود الكعبة من معناها الحسّي عملا بالقاعدة الخامسة من قواعد الإسلام التي تجعل الحج أمرًا اختياريا ولمن استطاع إليه سبيلا.[1]

ومن هذا الأخير على سبيل الحجّ وما دعى إليه الحلاج اعتبروه ملحدا ، القول بأن الحج إلى البيت الحرام ليس من الفرائض الواجبة الأداء.

فاستطاع حامد أن يتآمر مع القاضي المالكي أبي عمر الحمادي ، على الحكم الذي سيصدر بإعدام الحلاّج وأسبابه ، وذلك باحتجاج بمذهب الحلاّج في الاستغناء عن الحج ليشبه أمره أمر القرامطة الثائرين الذين أرادوا هدم الكعبة وفي جلسة نطق القاضي أبو عمر ، وقد استحثه الوزير ، بالحكم فقال :"يا حلال الدم ..." ، وفي اليومين التاليين بذل نصر أمير البلاط ووالدة الخليفة سعيهم لدى الخليفة – وكان مصابا بالحمى– فبدل حكم الإعدام ولكن حامد لوح أمام الخليفة (ثورة اجتماعية حلاّجية)... وفي الغداة وقع الخليفة أمرا بإعدام الحلاّج.[2]

أي مهما قال الحلاّج كان خطه كدليل عليه في المحكمة ومهما دافع عن نفسه فلا مجال لرجوع عن هذا الحكم خاصة في اتهامه بإتباع القرامطة و الاسماعليين الذين هدفهم القضاء على الدين الإسلامي ، بالإضافة إلى الحجّ وغيره من التهم.

وفي الثالث والعشرين من ذي القعدة أعلنت الأبواق أن الوزير يتهيأ لتنفيذ حكم الإعدام.... وأسلم الحلاّج إلى رئيس الشرطة بن عبد الصمد ، واتخذت الشرطة الاحتياطات للحيلولة دون اندلاع ثورة ... وفي الرابع و العشرين ، بباب خراسان ، وبحضرة مجلس الشرطة ، وأمام جمع غفير جيء بالحلاج. [3]

---

[1] السقاف أبكار ، الحلاّج أو صوت الضمير ، رامتان ، القاهرة ، ط(1) ، 1995 ، ص : 186 .

[2] الحلاّج ، أخبار الحلاج ، المصدر السابق ، ص :45 .

[3] الحلاّج ، المصدر نفسه ، ص :45 .

فالمكيدة دّبرت من قبل الوزير حامد ، والشعب في الخارج يُطالبون بالحلاّج وأن دمه في رقابهم مع العلم أن هناك من رفض أن يكون إثم ودم الحلاّج على رقبته حتى الخليفة المقتدر ولكن في النهاية كان الصلب لا مَحال.

أحضر الحلاّج يوم وقعته فأتي بهم مسلسلا مقيدا وهو يتبختر ويضحك ويقول :

ندیمي غیر منسوبٍ إلى شيءٍ من الحيف

دعاني ثم حياني كفعل الضيف بالضيق

فلما دارت الكأس دعا بالنطع و السيفِ

كذا من يشرب الراح مع التِتين في الصيف[1]

وإذا ما سئل عن هذه الحالة العجيبة يقدم إلى الموت وهو يضحك .

يا سيدي ما هذا الحال؟ قال : دلال الجمال ، الجالب إليه أهل الوصال.[2]

ومنه كانت هذه بداية الحلاّج في مأساته ، والحلاّج في أبياته تبادل التحية هو خلق كريم ينتمي إلى إكرام الضيف لضيفه ، وان الخمر التي يشربونها من الخطورة أن يبلغ شربها حد القتل بالسيف ، لأن السّكر بها يفقد العقل والتوازن ، لأن محتوى الراحة هو معرفة الذات الإلهية ،وحالة السّكر بها قد يتبعها بوح بما هو أجدر بالكتمان.

ولما اقترب من الميدان ، ورأى الخشية و المسامير المعدة لصلبه ، ضحك كثيرا حتى دمعت عيناه والتفت إلى الجمع فرأى الشبلي فقال له :

يا أبا بكر هل معك سجادتك؟ ، فقال :بلى يا شيخ . قال : أفرشها لي ففرشها ، فصلى الحسين بن منصور عليها ركعتين ، فقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقوله :﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ**

---

[1] الحلاّج ، أخبار الحلاّج أو مناجيات الحلاّج ، المصدر السابق ، ص :29 .

[2] الحلاّج ، المصدر نفسه ، ص :127 .

مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ...﴾[1] وفي الثانية فاتحة الكتاب وقوله تعالى﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾[2] فلما سلم بسط يديه بالأغلال إلى حبيبه متضرعا مناجيا... اللهم إنّك المتجلي عن كل جبهة... بحق قدمّك على حدثي ، وحق حدثي تحت ملابسي قدمك ، أن ترزقني شكر هذه التي أنعمت بها علي .[3]

إذًا الحلاّج كان متوقعّا ما سيحدث له ، حتّى في صلاته بقراءته آية من سور البقرة بمعنى أنه لا بد أن يبتلى الله سبحانه وتعالى عبادة بالمحن وكذا قراءة آية من سور الأنبياء دلالة على أن كل نفس منفوسة من خلقه تعالى ، معالجة غصص الموت ومتجرعة كأسها.

ثم قال وهو مخاطب ربه " حيث غيبت أغياري عما كشفت لي من مطالع وجهك وحرمت من غيري ما أبحث لي من النظر في مكنونات سرك ،وهؤلاء عبادك قد اجتمعوا لقتلي تعصبا لدينك وتقربا إليك فاغفر لهم ، فانك لو كشفت لهم ما كشفت لي لما فعلوا ما فعلوا ، ولو سترت عني ما سترت عنهم لما إبتليت بما ابتليت ذلك الحمد فيما تفعل و لك الحمد فيما تريد.[4]

أي الناس متفاوتين في المدارك والمواهب ، فلا العامة قادرين على ارتقاء السلّم ، ولا الصوفي بقادر على النزول إليهم ، ومن هنا سوء الفهم المتبادل بين أهل الشريعة وأهل الحقيقة.

ثم سكت ليناجي ربه في قلبه ، فتقدم أبو الحارث السياف ، فلطمه لطمة هشمت أنفه وسال الدم على لحيته ، فصاح الشبلّي ومزق ثوبه ، وغشي على أبي الحسن الواسطي وكادت تحدث فتنة.[5] ثم بدأ بتنفيذ العقاب ، فضرب ألف السُوطٍ وهو لا يتأوهُ ، ثم قطعت

---

[1] سورة البقرة ، الآية : 155 .

[2] سورة الأنبياء ، الآية: 35 .

[3] الحلاّج ، أخبار الحلاّج أو مناجيات الحلاّج، المصدر السابق ، ص :11 .

[4] المصدر نفسه ، ص :12 .

[5] خرطيل سامي ، أسطورة الحلاّج ، المرجع السابق ، ص :149 .

يده ورجله ، ثم يده ورجله ، قال الحلاّج : إلهي أصبحت غي دار الرغائب ، أنظر إلى العجائب ، إلهي إنك تتودّد إلى من يؤذيك ، فكيف لا تتوددّ إلى من لا يُؤذى فيك.[1]

قال المسيح عليه السلام قبل الحلاج في موقف مشابه " إلهي ، لم تتركني " ، أما صمته فهو صبر .

ثم مسح وجهه بيديه النازفتين دمًا ، حتى تلطخ وجهه ، فقالوا له : لم فعلت ذلك؟ فأجاب : إني أتوضّأ ، فقالوا : أيّ وضوءٍ هذا؟ ، فأجاب :ركعتان في العشق لا يصح وضوؤهما إلا بالدم [2]. ثم صلب على جذع ، بقي مصلوبا ذلك اليوم بأكمله ، فأتى الشبلي وسأله : ما التصوف؟ فقال أهون مرقاة منه ما ترى ، فقال له : ما علاه ؟ فقال : ليس إليه سبيل ولكن سترى غذا ، فإن في الغيب ما شهدته وغاب عنك.[3]

وقيل أنه قد أرسل للتجنيد من قبل الخليفة على أن الفقهاء قد أفتوا في قتل مريده وكان الردّ إفعلوا ما قدر الله عز وجل عليه وأن الشيخ الجنيد بكى بكاء شديدا على الحلاّج.

وأول من بدأ برجمه أبو بكر الشبلي فرجمه بوردة فبكى ، قيل له يا حسين رجمك الناس بالحجارة فضحكت فلما رجمتك بوردة بكيت ، فقال يا سيدي أما تعلم أن جفا الحبيب على المحب شديد ..[4]

كما قيل أنه بدأت الأصوات ترتفع أقتله ودمه في رقابنا ، وبين التردد و العزم ، صدر الأمر الأخير من فم الخليفة ، اقطعوا رأس الحلاج أحرقوا جسده .

---

[1] الحلاّج ،،أخبار الحلاّج أو مناجيات الحلاج، المصدر السابق ، ص :46.

[2] سرور طه عبد الباقي ، الحسين بن منصور الحلاّج ، المرجع السابق ، ص : 113 .

[3] الحلاّج ، الأعمال الكاملة :سيرة حياة الحلاّج ، المصدر السابق ، ص :294 .

[4] الحلاّج ،أخبار الحلاّج أو مناجيات الحلاّج ، المصدر السابق ، ص :161.

ثم أنزل الحلاّج عن الجذع وقدم أمام السياق فقال بأعلى صوته :" حسب الواحد إفراد الواحد له" [1] ثم قرأ :﴿ **يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ** ﴾[2] . ثم ضرب السّياف عنقه وسقط رأسه.[3]

وفي تفسير سورة الشورى :يقولون متى تأتي ظنّا منهم أنها غير آتية ، " يستعجب بها " أي يستعجلونها أين هي ؟ متى تكون؟ ، ثم الإشفاق أشدُ الخوف ، لأنهم يعلمون أنها الحق ثم لفي ضلال بعيد عن الهدى ، لأن الضلال قد يكون قريبا ، ويهتدي الإنسان عن قرب ، وقد يكون بعيدا فلا يهتدي والعياذ بالله .[4]

إذًا كان هذا آخر ما نطق به الحلاّج قبل فصل رأسه عن جسده .

أما الجثة فصب عليها الزيت وأحْرقت بالنار ، ولما صارت ومادا أُلقي من أعلى مئذنة في دجلة وكان ذلك يوم الثلاثاء الموافق لـ6 ذي القعدة سنة 309هـ والموافق لـ6 أذار سنة 922ميلادي.[5]

فالحلاّج كان شهيد التصوف الإسلامي ،وقوله في المحاكم دليل براءته إلا أن المكيدة كانت محكمة ليس هذا وفقط بل حتى الحلاّج كان يعلم ما هو مصيره لأنه لم يكتم سرّه وكان تلفظه بالشطح المملوء بالرموز الذي يصعب فهمه وبالتالي يكون تفسيره خاطئ راجع على الحلاّج بالصلب في الأخير .

---

[1] الحلاّج ،أخبار الحلاّج أو مناجيات الحلاّج ، المصدر السابق ، ص :40.

[2] سورة الشورى ، الآية : 18 .

[3] الحلاّج ، المرجع السابق ، ص 40 .

[4] العثيمين محمدّ بن صالح ، تفسير القرآن الكريم : سورة شورى ، دار الدّرة ، مصر ، ط(1) ، 2017 ، ص :186 – 187.

[5] بدوي عبد الرحمن ، شخصيات قلقة في الإسلام ، المرجع السابق ، ص : 78 .

المبحث الثالث : رؤية تجاوزية نقدية لفكرة المسيح عند الحلاّج

اكتفى بعضهم بتكفيره بالاعتماد على ما قيل على لسانه من أقوال ، بينما سعى بعضهم إلى تبرئته ،أما أتباعه فإنهم يقدسون أقواله على أنّ لها معانٍ باطنة غير المعاني الظاهرة ، بينما جنح المستشرقون إلى تفسيرات أخرى (أسطورة).

يقول بن الجوزي : "وقد اندس في الصّوفية أقوام وتشبهوا بهم وشطحوا في الكرامات وادعائها وأظهروا للعوام مخاريق صادوا بها قلوبهم ".[1]وفي الحلاّج يروي عنه :

" وكان يمد يده إلى الهواء ويطرح الذهب في أيدي الناس ويمخرق ، ويبلغ تلبيس إبليس دورته فالحلاج قال :

لا يهولنكم هذا فاني عائد إليكم بعد ثلاثين يوما" .[2]

فالحلاّج عند بن الجوزي ممخرق ، متصل بإبليس وأنه ساعده بإتيان هذه الأمور الخارقة والعجيبة.

بعض المؤرخين اشتدوا في هجومهم على الحلاّج كإبن نديم في فهرست وعريب بن سعد في الصلة ، وابن كثير في البداية والنهاية .[3]

من بين جميع هؤلاء بن تيمية كممثل لهم جميعا في حدود واضحة وخلاصة رأيه في الحلاّج بعدما سئل :

---

[1] بن الجوزي جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ، تلبيس إبليس ، دار القلم ، بيروت ، د(ط)، 1983 ، ص : 372 .

[2] المرجع نفسه ، ص :372 .

[3] خرطبيل سامي، أسطورة الحلاج ، المرجع السابق ، ص :207 .

" ما تقول أئمة الإسلام في الحلاّج؟ وفيمن قال : أنا أعتقد ما يعتقده الحلاّج ماذا يجب عليه ، ويقول : انه قتل ظلما كما قتل بعض الأنبياء ؟ ويقول : الحلاّج من أولياء الله فماذا يجب عليه بهذا الكلام ، وهل قتل بسيف الشريعة ؟ فأجاب :

الحمد لله من اعتقد ما يعتقده الحلاج من المقالات التي قتل الحلاّج عليها فهو كافر مرتد باتفاق المسلمين ، إنما المسلمين إنما قتلوه على الحلول و الاتحاد ، ونحو ذلك من مقالات أهل الزندقة والإلحاد ، كقوله :أنا الله ، وقوله :إله في السماء وإله في الأرض" .[1]

أي قتله واجب ، ذلك إن حالته لا تنطبق على حالة غائب العقل ، والذي يكون في حالة فناء وسكر ، ذلك أن الحلاّج إنما كان يتكلم بهذا في كتبه المصنفة وبقوله وهو حاضر ويقضان.

فالنصارى الذين كفرهم الله ورسوله ، واتفق المسلمون على كفرهم بالله ورسوله ، وكان من أعظم دعواهم الحلول والاتحاد بالمسيح بن مريم . قال تعالى :﴿ **إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا** ﴾[2]

ومنه هذا دليل على أن جميع من في السموات من الملائكة ، ومن في الأرض من البشر والإنس والجن (إلا أتي الرحمان عبدا) مفرا له بالعبودية.

فمن قال بالحلول و الاتحاد في غير المسيح ، كما تقول العالية في علي ، وكما تقول الحلاّجية في الحلاّج ، والحاكمية في الحاكم ، وأمثال هؤلاء ، فقولهم شر من قول النصارى لأن المسيح بن مريم أفضل من هؤلاء كلهم وهؤلاء من جنس أتباع الرجال ، والحلاّج كانت له مخاريق وأنواع من السحر وله كتب منسوبة إليه في السحر.[3]

---

[1] بن تيمية أحمد بن عبد الحليم ، مجموع فتاوى ،م2 ، المرجع السابق ، ص : 480.

[2] سورة مريم ، الآية : 93.

[3] بن تيمية ، المرجع السابق ، ص : 481.

ومنه فالحلاّج كان من الدجاجلة بلا ريب عند بن تيمية ، وأنّه ظهر عليه من أقوال ، و أعمال ما وجب كفره وقتله ، وهذا حال من خرج عن الكتاب والسنة وكان له حال من مكاشفة حال شيطاني .

لأن الطريق الصوفي كما يقول المتصوفة ، طريقُ وعرٌ شائكٌ ، تمتزج فيه البروق الخادعة ، بالأنوار الهادية ، والخواطر المضللة بالإلهامات المشرقة وفيه الاستدراج الخفي والامتحان الرباني ، ولهذا اشترط الصوفية جميعا واتفقوا على أن المسيح ضرورة في الطريق لا غنى عنه للسالك المريد. [1]

إذًا هذا ما ذكرته الكتب الصوفية ، أما السيرة الشعبية للحلاج ذكرت أن الحلاج بعد الجنيد لم يكن له شيخ وإنما سلك طريقه بمفرده.

وبالجملة فلا خلاف بين الأمة أن من قال بحلول الله في البشر ، واتحاده به ، وإن البشر يكون إلها ، وهذا من الآلهة ، فهو كافر مباح الدم .[2]

ومن قال :إنّ الله نطق على لسان الحلاّج ،وان الكلام المسموع من الحلاج كان كلام الله ،وكان الله هو القائل على لسانه : أنا الله فهو كافر بإتفاق المسلمين ، فان الله لا يحل في البشر ، ولا تكلم على لسان بشر ، ولكن يرسل الرسل بكلامه ، فيقولون عليه ما أمرهم ببلاغة ، فيقول على ألسنة الرسل ما أمرهم بقوله[3] كما قال ﷺ :"أما إن الله قال على لسان نبيه سمع الله لمن حمده "[4]

إذًا الحلاّج في رأي بن تيمية قدس الله روحه ، اما ملحد أو جاهل ضال ، وأنه ليس من أولياء الله المتقين .

---

[1] سرور طه عبد الباقي ، الحسين بن منصور الحلاج ، المرجع السابق ، ص : 37

[2] بن تيمية أحمد بن عبد الحليم ، مجموع فتاوى ،م2 ، المرجع السابق ، ص 481 .

[3] المرجع نفسه ، ص : 482 -481.

[4] رواه مسلم ، كتاب الصلاة ، باب التشهد في الصلاة ، 617 .

و ما يحكى عن الحلاج من ظهور كرمات له عند قتله ، مثل كتابة دمه على الأرض :الله الله ، وإظهار الفرح بالقتل أو نحو ذلك :فكله كذب ، فقد جمع المسلمون أخبار الحلاّج في مواضع كثيرة.[1] وقد ذكر الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي أنّ المشايخ في أمر الحلاّج مختلفون ، رده أكثر المشايخ ونفوه ، وأبوا أن يكون له قدم في التصوف.[2]

والمعنى من قول عبد الرحمان سلمي يحيل إلى أبو القاسم القشيري في رسالته لم يذكر الحلاّج ضمن الذين عدهم من مشايخ الطريق ، أما فيما يخص انه قتل ظلما فجاء في إجابة بن تيمية :

أنه قول باطل ، فان وجوب قتله على ظهره من الإلحاد أمر واجب بإتقان المسلمين : لكن لما كان يظهر الإسلام ويبطن الإلحاد إلى أصحابه :صار زنديقا فلما أخذ وحبس أظهر التوبة.[3] إن الله تبارك وتعالى ، وله الحمد ذات واحد ، قائم بنفسه ، منفرد عن غيره يقدمه ، متوحد عمن سواه بربوبيته ، لا يمازحه شيء ، ولا يخالطه غير ، ولا يحويه مكان ، ولا يدركه زمان.... [4]

الحلاّج لما حبس أظهر توبته ، وفي هذا الفقهاء متنازعون في قبول توبة فأكثرهم لا يقبلها وهو مذهب مالك وأهل المدينة ، ومذهب أبي حنيفة و أما القول الأخر تقبل توبته وهذا ما جاء في إجابته بن تيمية ، وأيضا :

---

[1] بن تيمية أحمد بن عبد الحليم ، مجموع فتاوى ،م2 ، المرجع السابق ، ص : 483 .

[2] السّلمي عبد الرحمن ، الطبقات الصوفية ،تح :الشرباصي أحمد ، مؤسسة دار الشعب ،مصر ،ط(2)، 1998 ص :103

[3] المرجع نفسه ، ص : 483 .

[4] الحلاّج ،أخبار الحلاّج ، المصدر السابق ، ص 72 .

من أعظم الإيمان والتقوى أن يجتنب مقالة أهل الإلحاد –كأهل الحلول والاتحاد –فمن وافق الحلاّج على مثل هذه المقالة ، لم يكن عارفا بالإيمان والتقوى فلا يكون عارفا بطريق أولياء الله ، فلا يجوز أن يميز بين أولياء الله وغيرهم.[1]

أي أن الاطلاع على أولياء الله لا يكون إلا لمن يعرف طريق الولاية وهو الإيمان والتقوى بعد ما ختم قوله بـ :

إنما علينا أن نعرف التوحيد الذي أمرنا به ، وتعرف طريق الله الذي أمرنا به ، وقد علمنا أن ما قاله الحلاّج باطل ، وأنه يجب قتل مثله وأما نفس الشخص المعين ؟ هل كان في الباطن له أمر يغفر الله له به من توبة أو غيرها ؟ فهذا أمر إلى الله.

أي لا حاجة لأحد بعلم حقيقة ذلك ، وأن الله أعلم بأمرهم ، فبن تيمية يصنف الحلاج ضمن أهل الزندقة والإلحاد ولهذا وجب قتله ومن لم يجوز قتل مثله فهو مارق من دين الإسلام .

[1] بن تيمية أحمد بن عبد الحليم ، مجموع فتاوى ،م2 ، المرجع السابق ، ص : 485 –486.

خاتمة

إن الأناجيل إختلفت في مواطن و إتفقت في مواطن أخرى في قصة المسيح عليه السلام ، فأكدو على أن عيسى إبن الله رغم الإنتقادات الموجودة في متن هذه الكتب، من جهة قول المسيح أنه إنسان و من جهة أخرى أنه إله، وصولا إلى المعانات و موته في الأخير .

ثم جاء القرآن الكريم ي برأ سيدنا عيسى عليه السلام من التهم التي وجهت إليه ،وأنه لم يقتل بل رفع إلى الله و كان الله منجيه .بالإضافة إلى العديد من أدلة براءة سيدنا عيسى عليه السلام من قول الكفار على أنه إله أو إبن إله.

بإختصار أن عيسى الحقيقي الذي يقرره القرآن الكريم يختلف عن عيسى الخيالي التي ترسمه الأناجيل ، ثم يقرر بوضوح عدم ص لب المسيح و أن الله نجاه من محاولات يهود لقتله.

ثم إن الرؤية الصّوفية للسيد المسيح عليه السلام و أثره الكبير في متصّوفة الإسلام جلية الملامح في فكر إبن عربي و غيره من الصّوفية ، كما سبق لنا ذكر الحكيم الترمذي الذي يؤكد على أن المسيح أثره بارز في عقيدة الولية عند المتصّوفة .

نجد تجربة التجلي عند الحسين إبن منصور الحلاّج و تصور الصلة بين الله والإنسان صلة العبد بمعبوده ، مع العلم أنّ الحلاّج لم يكن يختلف عن غيره من الصّوفية من حيث التقيد بالشريعة ، و كان هذا المنهج الحلاّجي الثقافي يتّسم بالوجود الصافي والحّب الإلهي و وحدة الشهود و التي هي حال الفناء و التي بلغت الذروة العليا – مقام الإتحاد لدى الحلاّج – فإن الاّهوت و الناسوت المستمد من الألفاظ المسيحية أي من أصل نصراني بمعنى حلول اللاهوت في الناسوت – حلول الإله في الإنسان – و هذه التجربة يكون فيها ضياع الفردية ، وهذا ناتج عن الأثر الذي تركته المسيحية في التصّوف الإسلامي منذ الفتح، وفي الأخير نجد الحلاّج يقول مرة أنهما ممتزجان و مرة أنهما غير ممتزجين عكس المسيحية وهنا توحيد الله.

و في نزاع" الأنا" الحلاّجية يقول الحلاّج أن من ظن أنّ الإلهية تمتزج بالبشرية أو البشرية تمتزج بالإلهية فقد كفر.

أما حلول الله في الإنسان و في غيره من أجزاء العالم ،كان هذا لفظ الحلاّج و هو في حال الوله الغالب المستولي على شعوره ، جاء منه قوله" أنا الحق !" التي فسرت لغير معناها من قبل مكفري الحلاّج ، و اعتبروه كافر وجب قتله، فجاء في حل رموز إبن عبد السلام العز و دافع عن هذه و فسرها على أ ن الحلاّج قصد الحق في كل شيء " أنا الحّق في محبته، و هو الحق في مملكته " .

المسيح في تأمل الحلاّج أي رمز الصليب في كتابات الحلاّج مع العلم أن الرمز يستخدم للدلالة البليغة السرية على أشياء أكثر عمقا فكان هذا واضح في مقولة الحلاّج ورسومات شطحاته ، توصلنا إليها من خلال كتابه الطواسين و كان رمز الصليب دليل المعانات و فصل الجسد عن الروح ، و كان هذا مصير الحلاّج المؤلم بعد مأساة كان قد عاشها ، مثل التودد إلى الناسّ لقتله بالإضافة إلى أسباب دينية و سياسية أكثر ،و كانت حادثة مقتل الحلاّج أبشع حادثة لتفارق الذهن .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم.

الأحاديث النبويّة الشريفة

أولا: المصادر :

1. الكتاب المقدس ، الأناجيل الربعة.
2. الحلاّج ، أخبار الحلاّج ، تحقيق : محمد باسل عيون السود، دار للكتب ،بيروت ،ط(2)،2002.
3. الحلاّج ، الأعمال الكاملة : الديوان . تحقيق : قاسم محمد عباس ، رياض الرييس للكتب ، لبنان ، ط(1) ،2002.
4. الحلاّج ، الأعمال الكاملة : الطواسين ، تحقيق :عباس قاسم محمد ، رياض الرييس للكتب ،لبنان ، ط(1) ،2002.
5. الحلاّج ، الأعمال الكاملة :سيرة الحلاج ، تحقيق :قاسم محمد عباس،رياض الرييس للكتب ، لبنان ،ط(1) ، 2002 .
6. الحلاّج ، السيرة الشعبية للحلاّج ، تحقيق: رضوان السح ، دار صادر ،بيروت ،ط(1) ،1998 .
7. الحلاّج ، ديوان الحلاّج ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار للكتب ، بيروت ،ط(2)،2002.
8. الحلاّج ، شرح ديوان الحلاّج ، تحقيق: كامل مصطفى الشبلي ، منشورات الجمل، بيروت، ط(1)، 1974.
9. الحلاّج ، كتاب الطواسين ،تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط(2)،2002.

10. الحلاّج ،أخبار الحلاّج ، تحقيق : لويس ماسينيون وبول كراوس ، التكوين ، دمشق ، ديوان طبعة ، 1955 .
11. الحلاّج ،أخبار الحلاّج ،من أنذر الأصول المخطوطة في سيرة الحلاج ،تحقيق :علي بن أنجب الساعي البغدادي ، دار الطليعة الجديدة ، سوريا ، ط(2)، 1997 .

ثانيا: مصادر صوفية أخرى :

12. أبو القاسم القشيبري ، الرسالة القشيرية ، الجزء1 ، تحقيق :محمود بن شريف و عبد الحليم محمود ، دار الشعب ، مصر ، دون طبعة ، 1989 .
13. أبو حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، مركز الأهرام ، مصر ، ط(1)،1988 .
14. محي الدين ابن عربي ، الحب والمحبة الإلهية ، تحقيق :محمد محمود الغراب، مطبعة نضر ،دمشق، ط(2) ، 1992 .
15. محي الدين ابن عربي ، ترجمان الأشواق ، تحقيق :عبد الرحمان المصطاوي ، دار المعرفة ، لبنان ، ط(1) ،2005 .
16. محي الدين ابن عربي ، رسائل ابن عربي شرح مبدأ الطوفان ورسائل أخرى ، تحقيق :قاسم محمد عباس، منشورات المجمع الثقافي ، إمارة السعودية المتحدة ،ط(1)، 1998 .
17. محي الدين ابن عربي ،فصوص الحكم ، الجزء 1، تحقيق : أبو العلا العفيفي ، بيروت، دون طبعة ، دون تاريخ .
18. نصر السّراج الطواسّي ، اللُمع في التصوف ، تحقيق :عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ،مكتبة المثنى ، بغداد ، دون طبعة ، 1960 .
19. الهجويري بن عثمان علي ، كشف المحجوب ، ترجمة :إسعاد عبد الهادي قنديل، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط(7) ،1970 .

ثالثا: المراجع:

20. أبكار السقاف ، الحلاّج أو صوت الضمير ، دار رامتان ، القاهرة ، ط(1)، 1995 .
21. أبي بكر بناني ، الفتوحات القدسية في شرح القصيدة في حال السلوك عند الصوفية :القصيدة الفقشية ، تحقيق :عبد الرحمان الحداوي وإسماعيل بن عبد الرحمان المساوي ، دار كتاب ناشرون ، بيروت ، ط(1) ، 2010 .
22. أبي محمد صدر الدين روزهان بن أبي نصر البقلي ، عرائس البيان في حقائق القرآن ، تحقيق :أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط(1) ،2008 .
23. أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، الجزء8 ، دار الفكر ،لبنان ، دون طبعة ، 1996 .
24. أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، الجزء الثاني ، دار الفكر ، لبنان ، 1996 .
25. إحسان ظهير ، التصّوف المنشأ والمصادر،إدارة ترجمان السّنة ، باكستان ، ط(1) ،1986.
26. أحمد الشبلي ، المسيحية ، الجزء 2 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط(10) ،1998.
27. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، مجموع فتاوى ، المجلد2 ، تحقيق :عبد الرحمان بن محمد بن قاسم ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، السعودية ، دون طبعة ، 2004 .
28. أسماء خوالدّية ، صرعى التصّوف ،دار الأمان ، الرباط ، ط(1) ، 2014 .
29. أليكسي جوارافسكي ، الاسلام والمسحية ، ترجمة :أحمد مشاري العدواني ، عالم المعرفة ، الكويت ، دون طبعة ، 1978 .
30. الأمير عبد القادر ، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية ، الجزء2 ، تحقيق : عاصم الكيالي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط(1) ، 2004 .

31. برتراند رسل ، تاريخ الفلسفة الغربية ، مجلد(2)، ترجمة :زكي نجيب محمود ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، دون طبعة ، 2010 .
32. بن أبي محمد ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، المجلد 7، تحقيق :محمد يوسف الدّقاف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط(1) ، 1987 .
33. تور أندريه ، التصوف الإسلامي ، ترجمة :علي عدنان عباس ،منشورات الجمل ، ألمانيا ، ط(1) ، 2002 .
34. حسن حنفي ، من الفناء الى البقاء، الجزء 1 ، دار المدار الإسلامي ،لبنان ، ط(1) ، 2009 .
35. حمادي العلوي ،مدارات صوفية ، دار المدى ، سوريا، ط(1) ، 1997 .
36. حنا الله جرجس ووهيب مالك ، القاموس الموجز للكتاب المقدس ، الجزء 2 ، طبع مكتبة كنيسة الأخوة ، مصر ، دون طبعة ، 1983 .
37. الدمشقيّ عماد الدينّ أبي فداء إسماعيل بن كثير القرشّي ، البدّاية والنّهاية ، الجزء14، تحقيق :عبد الله بن عبد الحسن التركي ، دار الهجرة ، القاهرة ، ط(1)، 1998.
38. روبر تسون ماكويلكن ، كيف تفهم وتطبق الكتاب المقدس ،مركز مورغان للنشر و الإعلام ، بيروت ، ط(1) ، 2010 .
39. سامي خرطبيل ، أسطورة الحلاّج ، دار ابن خلدون ، بيروت ، ط(1) ،1979.
40. سامي مكارم ، الحلاّج في ما وراء المعنى والخطّ واللونّ ، رياض الريس ، بيروت ، دون طبعة ، 1989 .
41. شعيب بن سعد الحريفيش ، الروض الفائض في المواعظ والرقائق ، تحقيق : عاصم الكيالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط(1) ،2004 .
42. صلاح عبد الصبور، مأساة الحلاّج ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، دون طبعة ، 1996 .

43. عبد الباقي سرور طه ، الحسين بن منصور الحلاّج ، دار هنداوي ، مصر، دون طبعة ،1961.
44. عبد الرحمان بدوي ، خريف الفكر اليوناني ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط(4) ، 1970 .
45. عبد الرحمان بدوي ، شخصيات قلقة في الإسلام ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط(2) ،1964.
46. عبد الرحمان بدوي ،شطحات الصوفية ، الجزء 1 ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط(2) ، 1986.
47. عبد القادر الحصني، شرح ديوان الحلاّج ، دار الفرقد ،سورية ، ط(1) ،2011.
48. عبد القادر محمود ، الفلسفة الصوفية في الإسلام ، دار الفكر العربي ، بيروت، ط(1) ،1976.
49. فرنسيس فرييه ، التجسد ، ترجمة :لويس أبادير ،منشورات المعهد المعادي ، القاهرة ، دون طبعة ، 1962 .
50. فريدريش نيتشه ،هكذا تكلم زرادشت ،ترجمة :علي مصباح ، منشورات الجمل ، بغداد ، ط(1) ، 2007 .
51. كاظم محمد عمار ، قراءة في التجربة الصوفية ، دار المدى ، العدد :4128، 2013.
52. كامل سعفان ، دراسة في التوراة و الإنجيل، دار الفضيلة ، القاهرة ، دون طبعة، 1989 .
53. لواء أحمد عبد الوّهاب ، الإسلام و الأديان الأخرى : نقاط الاتفاق والاختلاف ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، دون طبعة ، 1922.
54. لويس ماسينيون ، آلام الحلاّج ، ترجمة :الحسين مصطفى حلاج ، شركة قدْمس، بيروت ،ط(1)،2004.

55. محمد إقبال ، تطور الفكر الفلسفي في إيران ، ترجمة : حسن محمد الشافعي ، الدار الفنية ، القاهرة ، ط(1) ، 1989 .
56. محمد بن الطيّب ، إسلام المتصّوفة ،دار الطليعة ، بيروت ، ط(1) ،2007 .
57. محمد بن صالح العثيمين ، تفسير القرآن الكريم :سورة الشورى ، دار الذرة ، مصر ، ط(2) ، 2017 .
58. محمد جواد مغّنية ، معالم الفلسفة الإسّلامية نظرات في التصوف والكرامات، مكتبة الهلال ، بيروت ، ط(3) ، 1982 .
59. محمد عبد الجابر بن الحسين النّفري ، كتاب المواقف والمخاطبات، تحقيق :أرثر يوحنا أربري ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، دون طبعة ، 1934.
60. محمد عبد المنعم خفاجي ، التصوف في الإسلام و أعلامه ،دار الوفاء ، القاهرة ، دون طبعة ،2001.
61. محمد مجدي مرجان ، المسيح إنسان أم إله ، مكتبة النافذة ،مصر ، ط(2) ، 2004.
62. موريس بوكاي ، التّوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ترجمة : الشيخ حسين خالد ، المكتبة الإسلامية، بيروت ، ط(3) ، 1990 .
63. نظلة أحمد الجبوري ، سلاطين المتصوفة في العشق والمعرفة ، دار الهدى ، بغداد ، ط(1) ،2016.
64. نهاد خيّاطة ، دراسة في التجربة الصوفية ، دار المعرفة ،دمشق ، ط(1) ، 1994.
65. هنري جلسونا إتين ، روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط ، ترجمة : إمام عبد الفاتح ، مكتبة مدبولي ، ط(3) ،1996 .
66. هنري كوربان ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ، ترجمة :موسى الصّدر وآخرون ،عويدات للنشر والطباعة، لبنان،ط(2)،1998.
67. هيفرو محمد علي ديركي ، أحلام الصّوفية ، دار التكوين ، دمشق، ط(1) ، 2009.

68. ولتر ستيس ، التصوف والفلسفة ، ترجمة : إمام عبد الفاتح إمام ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، دون طبعة ، 1999 .
69. يوسف زيدان ، اللاهوت العربي و أصول العنف الديني ، دار الشروق ،مصر ، ط(2) ،2010.
70. يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأروبية في العصر الوسيط ، دار المعارف ، مصر، ط(3) ، 1119.

رابعا: المعاجم و الموسوعات :

71. إبراهيم مذكور ، المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، دون طبعة ، 1989 .
72. جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، الجزء 2، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، دون طبعة ، 1982 .
73. حسن الشرقاوي ، معجم ألفاظ صوفية ، مؤسسة مختار ، القاهرة ، ط(1) ،1978.
74. سعاد الحكيم ، المعجم الصوفي ، دار دندرة ، لبنان ،ط(1) ، 1981 .
75. علي بن محمدّ السّيد الشريف الجرجاني ، معجم التعريفات ، تحقيق :محمد صّديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، دون طبعة ، 2004.
76. فرج الله عبد الباري ، يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية ، موسوعة العقيدة و الأديان ، دار الأفاق العربية ، العدد :870 ، 2004.
77. ممدوح الزوبي ، معجم الصوفية ، دار الجيل ، بيروت ،ط(1) ، 2004.
78. منير البعلبكي ،معجم أعلام المورد ، دار العلم للملايين ، بيروت ،ط(1) ،1992.

خامسا: المجلات و الدوريات:

79. أحمد محمد صبحي ، التصوف إيجابياته وسلبياته ، مجلة عالم الفكر ، المجلد6 ، العدد :02 ، 1975 .

80. جوش مكدويل ،تفتي في السيد المسيح ، ترجمة :عبد النور منيس ، مجلة نداء الرجاء ، العدد : 70007 .

81. رهفة السكري ، رمزية الإنسان عند ابن عربي ، مجلة جامعة البعث ، العدد :55 جامعة دمشق ، 2017 .

82. عبد الرضا حسن جياد ، الأسرار والرموز والعلم الدفين عند الحلاّج ،مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية ، المجلد 7 ،العددان :1-2 ، جامعة القادسية، 2008.

83. عبد القادر عميش ، اشتغال الرمز ضمن إسلامية النص، مجلة حوليات التراث ، العدد :2 ، جامعة مستغانم ، 2004 .

84. فرعون حمو ، حوار الأديان من منظور نظّرية التجّليات الصّوفية ، مجلة مؤمنون بلا حدود ، العدد :10569 ، المملكة المغربية ، الرباط ، 2016 .

85. محمود يوسف الشويكي ، مفهوم التصوف و أنواعه في الميزان الشرعي ، مجلة الجامعة الإسلامية ، العدد :02 ، كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية ، غزة،2002 .

سادسا: الأطروحات :

86. بلحمام نجاة ، ظاهرة التصوف الايجابي في فكر محمد إقبال ، أطروحة دكتوراه في الفلسفة ، إشراف محمد عبد اللاوي ، جامعة وهران ، 2011 .

87. خديجة بلخير ، النبوة في الأديان السماوية وعلاقتها بالتصوف الإسلامي ، الخلدونية ، العدد :8 ، جامعة تيارت، 2015 .

88. عبد الكريم عبد الشكور محمد أمان ، الذات الإلهية بين الإسلام والنصرانية ، مذكرة ماجستير في العقيدة ، إشراف : جاد حجازي عرض الله ، جامعة الملك عبد العزيز ، مكة ، 1986 .

89. فاطمة الزهراء هدّي ، جمالية الرمزّ في الشعر الصوفي ، مذكرة ماجستير في الأدب العربي الحديث، إشراف محمد مرتاض ،جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان ، 2006 .

90. فطيمة بوقاسة جميلة بوحيدر الرمز الثوري في الشعر العرب المعاصر، الماجستير ، إشراف :يوسف وغليسي ، جامعة منتوري ، قسنطينة،2006 .

سابعا: المواقع الالكترونية :

91. إينوك پاور ، تطور الإنجيل ، ترجمة : أحمد إيبش ، http://kotob.has.it/ ، يوم : 2017/11/17 ، ص :385 .

92. باربارا براو ، نظرة عن قرب في المسيحية ،ترجمة : حسن الياسري http://kotob.ro-ip.or ، يوم : 2017/11/14 ، ص :20-26 .

فهرس الآيات

و الأحاديث و الأعلام

فهرس الآيات :

	الآية	سورة	رقم	صفحة
01	﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	النور	61	25
02	﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى.....أُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	آل عمران	49-45	26
03	﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾	التوبة	30	27
04	﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾	النساء	171	27
05	﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾	آل عمران	50	27
06	﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً....أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾	المائدة	112-115	28
07	﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ .....فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	المائدة	116-118	28
08	﴿ (أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (91) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا..وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا .﴾	مريم	90-95	29
09	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)﴾	الإخلاص	1-4	29
10	﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ...ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾	المائدة	75	30

11	﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾	التحريم	12	30
12	﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ...بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾	النساء	157-158	31
13	﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ...وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾	الحديد	27	35
14	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾	البقرة	34	48
15	﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾	النجم	170	49
16	﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	أل عمران	31	50
17	﴿ا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ...ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾	المائدة	54	50
18	﴿قُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾	البقرة	35	62
19	﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	البقرة	30	67
20	﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾	النجم	11	70
21	﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾	طه	43	70
22	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾	الإسراء	23	72
23	﴿أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	الروم	30	74
24	﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ ﴾	البقرة	155	86
25	﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾	الأنبياء	35	87

26	﴿سْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾	الشورى	18	89
27	﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾	مريم	93	91

فهرس الأحاديث :

الرقم	الحديث	الراوي	رقم الحديث	الصفحة
01	" كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل "	رواه الترمذي	2333	45
02	" مل من مولود إلا يولد على هذه الملة فأبواه يهوّدانّه أو ينصرانه أو يمجسانه "	رواه البخاري	4775	78
03	" أما إن الله قال على لسان نبيّه سمع الله لمن حمده "	رواه مسلم	617	96

فهرس الأعلام :

الرقم	الأعلام	الصفحات
01	إبن الأثير	81-77
02	ابن تيمية	94-93-92-36
03	إبن سريج	82-81
04	ابراهيم	77
05	ابن كثير	90-81
06	ابن هالي	16-15
07	أبو الحارث السياف	87
08	أبو القاسم القشيري	93
09	أبو بكر الشبلي	88-86-62
10	أبو جعفر بن البهلول	82
11	أبو عبد الرحمن السلمي	93
12	أبو عمر	85-82
13	أبو يزيد البسطامي	56-55-45
14	أبي الحسن الواسطي	87
15	حامد	86-82
16	آدم عليه السلام	67-62-50-36
17	أفلوطين	38-37
18	إليصابات	12
19	الأمير عبد القادر	36
20	إيرينيوس	10
21	باراباس	21
22	بطرس	27-24
23	بن الجوزي	90

24	بن عبد الصمد	85
25	بولس	40-27-14-09
26	ثيوفيلوس	10
27	جلال الدين الرومي	41
28	الجنيد	92-88-45-34
29	عريب بن سعد	90
30	حامد بن العباسي	81
31	الحكيم الترمذي	42
32	داود	16-15-13
33	ديكارت	63
34	ديونيسيوس أكسيمؤس	15
35	رحمة الله الهندي	15
36	روزبهان البقلي	50-48
37	زرادشت	41-40-39
38	زكريا عليه السلام	12-11
39	الفريسيون	19
40	سفيان الثوري	52
41	سمعان	24-21
42	الشعراني	76
43	الشيبّي	77
44	ربيعة العدوية	84
45	أبا بكر	86
46	عفيفي	69-68
47	الغزالي	53
48	فرنيسيس	24

49	بن عبد الصمد	85
50	قيافا	20
51	كعب الأحبار	37
52	لوقا	18-16-15-12-11-10
53	المالكي أبي عمر الحمادي	89
54	متى	16-14-12-10-09
55	محمد بن داود	81
56	محمد صلى الله عليه وسلم	92-74-51-50-49-42-41
57	محي الدين ابن عربي	69-68-55-52-42-41-34
58	مرقس	17-12-10
59	مريم العذراء	-30-28-27-26-25-13-11 91-37-36
60	معروف الكرخي	45
61	الملك هيرودوس	14
62	موسى عليه السلام	17
63	ناتان	16-15
64	النساطرة	60
65	النفري	41
66	يعقوب عليه السلام	15-11
67	يهوذا الاسخريوطيُّ	20-14
68	يوحنا	19-12-11-10
69	ابي عمر محمد بن يوسف	82
70	ابن نديم	90
71	يوسف ابن داود	26-23-15-13
72	يوسيفوس	10

73	الحلاّج	-59-58-57-56-53-52-51-50-49-43 -72-71-69-67-66-64-63-62-61-60 -84-83-82-81-80-79-78-77-76-75 94-93-92-91-89-88-87-86-86-85
74	عيسى عليه السلام	-18-17-16-15-14-13-12-11-10-09 -28-27-26-25-24-23-22-21-20-19 -47-43-42-41-40-37-36-31-30-29 92-91-88-78-75-61-60
75	الطبري	35
76	أوغستين	40
77	قيس	54
78	ليلى	54
79	الوزير حامد	86
80	صلاح عبد الصبور	81
81	نصر القشوري	83-82

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات :

الرقم	الموضوع	الصفحات
	شكر وعرفان	1
	إهداء	2
	مقدمة	3- 7
	الفصل الأول :صورة الميسح في الفكر الإسلامي	**9-43**
01	المبحث الأول : المسيح في الإنجيل	9-24
02	المبحث الثاني :الرؤية الإسلامية للمسيح عليه السلام	25-31
03	المبحث الثالث :الرؤية الصوفية للسيد المسيح	32-43
	الفصل الثاني :الفلسفة الصوفية للحلاّج	**45-72**
01	المبحث الأول : تجربة التجلي عند الحسين إبن منصور الحلاّج	45-56
02	المبحث الثاني :اللاهوت و الناسوت	57-67
03	المبحث الثالث : فكرة الحلول	68-72
	الفصل الثالث : المسيح في تأمل الحلاّج	**74-94**
01	المبحث الأول :رمز الصليب في كتابات الحلاّج	74-78
02	المبحث الثاني مأساة الحلاج وفلسفة الموت	79-89
03	المبحث الثالث :رؤية تجاوزية نقدية لفكرة المسيح عند الحلاّج	90-94
	خاتمة	96-97
	قائمة المصادر و المراجع	99-107
	فهرس الآيات	109-111
	فهرس الأحاديث	112
	فهرس الأعلام	113-116
	الملاحق	

الملاحق

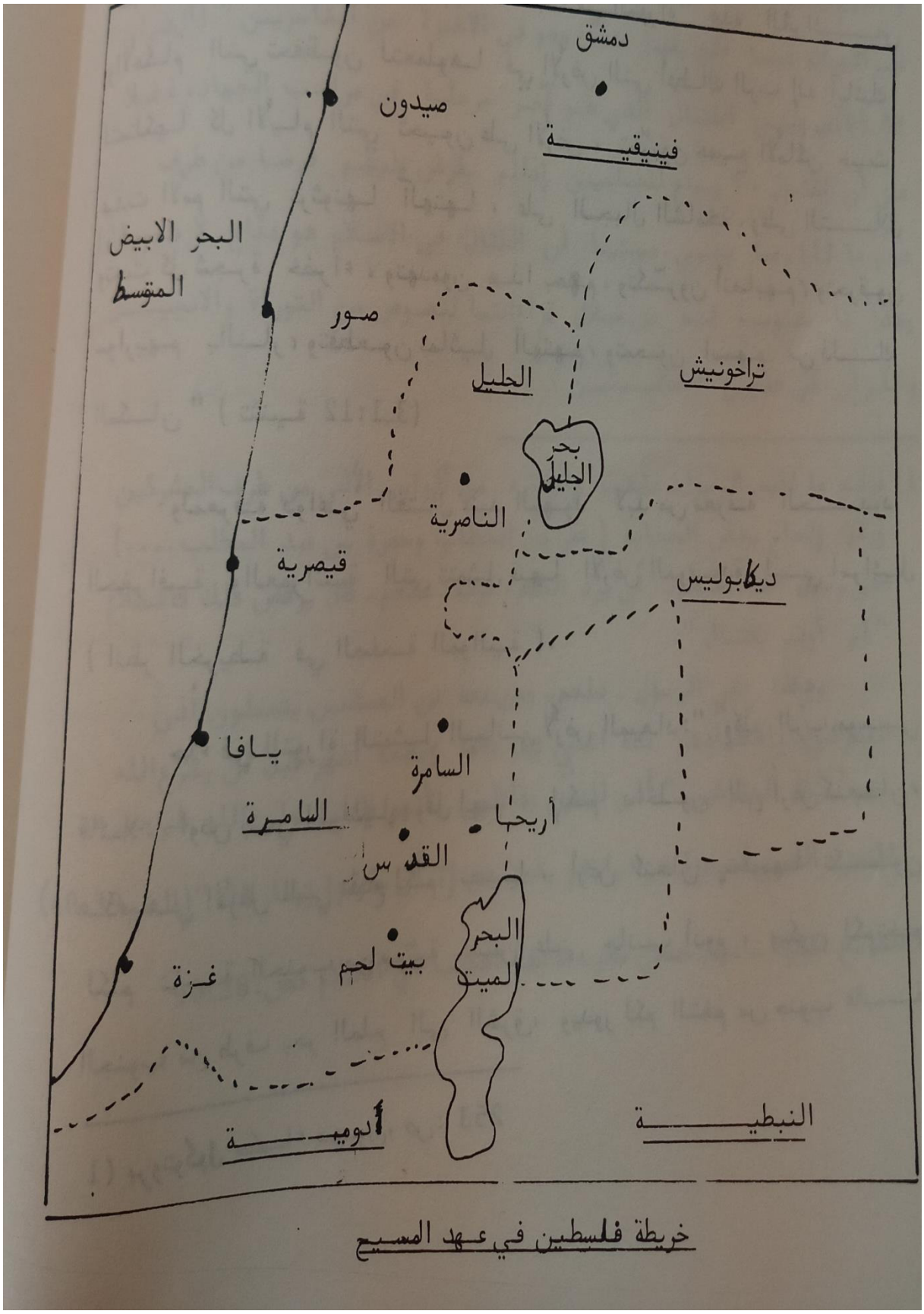

خريطة فلسطين في عهد المسيح

نهاية الحلاّج

شطح الحلاج

ملخص:

عندما نتحدث عن المسيح نتحدث عن الحلاّج بصفته شهيدًا على درب المسيح و كذا صفة ألوهيّة الإنسان المشتركة بينهما حسب ما نصّته الأناجيل عن عيسى المسيح و قول الحلاّج أنا الحقّ(!أي أنا هو الله) و حياة الحلاّج و مناظر محاكمته كلها تجعل الحلاّج يشبه المسيح ظاهريًا ، و أيضا في إتهام الحلاّج بالسحر ، هي نفس التُّهم التي وجهت للمسيح كما جاء في كتاب المقدس إنجيل يوحنا 12 (هو يضلّل الشعب) هذا غير الحلول والإتّحاد عند الحلاّج.

Summary

When we speak of Al-Halladj ;as a martyr on the path of Christ and such a description of the divine common humanity between them .According to the Bibles of Jesus on him and the words of Halladj « I am the right 'I am God ' » and the life of Halladj and the scenes of his trial all make Al-Halladj looks like Christ. The accusation of Al-Halladj is also the same as that of Jesus. As the Bible says in youhana 12 ,He misleads the people .

Résume

Quand nous parlons d'Al-Halladj ,comme un martyr sur le chemin du Christ et une telle description de l'humanité divine commune entre eux .Selon les Bibles de Jésus sur lui et les mots de Halladj ,je suis le droit « je suis Dieu « et la vie de Halladj et les scénes de son procés font tous qu'Al-Halladj ressemble à Christ. L'accusation d'Al-Halladj est également la même que celle de Jésus. Comme la Bible le dite dans youhanah 12 ,il trompe les gens.